الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

آداب الدعاء

الشيخ/ندا أبو أحمد

الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية

آداب الدعاء

الشيخ/ندا أبو أحمد

آداب الدعاء

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:70،71)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

آداب الدعــاء:

الأدب الأول: الإخلاص في الدعاء.

الأدب الثاني: التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ورد المظالم.

الأدب الثالث: تحري الحلال، وتجنب الحرام.

الأدب الرابع: الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة.

الأدب الخامس: حضور القلب عند الدعاء.

الأدب السادس: الوضوء عند الدعاء.

الأدب السابع: استخدام السواك عند إرادة الدعاء.

الأدب الثامن: رفع الأيدي في الدعاء.

الأدب التاسع: استقبال القبلة.

الأدب العاشر: يفتتح الدعاء بالثناء على الله تعالى، ثم يصلي على النبي ﷺ.

الأدب الحادي عشر: الدعاء بتضرع، وخشوع، وتبتل، وتذلل، ومسكنة، ورغبة ورهبة.

الأدب الثاني عشر: أن يكون غرض الداعي جميلًا حسنًا.

الأدب الثالث عشر: البكاء–إن استطاع– حال الدعاء.

الأدب الرابع عشر: الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة.

الأدب الخامس عشر: أن يسأل الله تعالى باسمه الأعظم.

الأدب السادس عشر: ألا يعتدى في الدعاء.

الأدب السابع عشر: خفض الصوت، والإسرار بالدعاء.

الأدب الثامن عشر: أن يجزم بالدعاء، ويعزم المسألة، ويوقن بالإجابة.

الأدب التاسع عشر: الإكثار من الدعاء في الرخاء.

الأدب العشرون: الإلحاح على الله في الدعاء.

الأدب الحادي والعشرون: الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

الأدب الثاني والعشرون: إذا دعا لغيره فليبدأ بالدعاء لنفسه أولًا.

الأدب الثالث والعشرون: إذا سأل الله فليُعظِّم المسألة.

الأدب الرابع والعشرون: الدعاء بالأدعية المأثورة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة.

الأدب الخامس والعشرون: أن يتخير جوامع الدعاء.

الأدب السادس والعشرون: أن يتخير لدعائه أوقات وأحوال الإجابة.

الأدب السابع والعشرون: الأخذ بأسباب الإجابة.

الأدب الثامن والعشرون: ألا يشغله الدعاء عن ترك واجب.

الأدب التاسع والعشرون: عدم استعجال إجابة الدعاء.

الأدب الثلاثون: أن يسأل الله تعالى من خيري الدنيا والآخرة.

الأدب الحادي والثلاثون: أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة.

الأدب الثاني والثلاثون: أن يحسن الظن بربه.

الأدب الثالث والثلاثون: الإكثار من الدعاء.

الأدب الرابع والثلاثون: أن يُعظم الرغبة في الدعاء، فيدعو الله بمعالي الأمور.

الأدب الخامس والثلاثون: الإكثار من النوافل.

الأدب السادس والثلاثون: أن يقول لمن أسدى معروفًا: جزاك الله خيرًا.

الأدب السابع والثلاثون: التأمين على الدعاء من المستمع.

مقدمة:

الدعاء له منزلة عظيمة في الإسلام، فهو من أعظم العبادات وأشرفها؛ لأنه يظهر حاجة الإنسان وافتقاره إلى مولاه، فالعبد يسأل ربه سبحانه وتعالى جلب نفع، أو دفع ضر، لأنه يعلم يقينًا أن الله تعالى بيده مقادير كل شيء، فيتعلق قلبه به، ويقبل عليه، ولهذا فهو من أفضل العبادات التي يحبها رب الأرض والسماوات.

فقد اخرج الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:

" أفضل العبادة الدعاء، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ". (صحيح الجامع: 1122) (الصحيحة 1579)

فالدعاء أفضل العبادة؛ لأن الدعاء دليل على عبودية العبد لمولاه سبحانه، وهو ملاذ المؤمنين، ومتنفس المكروبين، وترياق المهمومين، وسُلّم المذنبين للوصول إلى رب العالمين، وهو طريق المحتاجين، وباب يقف عنده المضطرون، وهو شعار الأنبياء والصالحين، وملجؤهم الذي يفزعون إليه إذا حزبهم أمر، وألَمَّ بهم هم، أو أبطأ عليهم نصر، وبه تُستجلب الخيرات، ويُدفع به الشرور والآفات، وهو سبب لانشراح الصدر، وتفريج الهم، وزوال الغم، وتيسير الأمور، وبه تستنزل الرحمات، وهو سلاح المؤمن عند نزول الكربات. فالدعاء تذلل وخضوع، وإخبات وانطراح على باب الكريم سبحانه، وحقيقة الدعاء إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الكرم والجود إليه.

(انظر شأن الدعاء للحافظ الخطابي –رحمه الله–)

معنى الدعاء:

الدعاء في اللغة: هو النداء؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا﴾ (مريم:2،3)

والدعاء كما تقول المعاجم يشتمل على معان مجملها: العبودية لله لأن فيه الرغبة إلى من تدعو، والاستعانة به، والاحتياج إليه، والطلب منه، وكلها معانٍ تدل على عبودية المرء لربه، واحتياجه إليه، وأنه لا غنى له عنه طرفة عين.

الدعاء في الاصطلاح:

قال الطيبي–رحمه الله–:" هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له ". (فتح الباري:95/11)

وقال المناوي–رحمه الله–:" هو لسان الافتقار بشرح الاضطرار ".

فالدعاء هو روحُ هذا الدِّين، وزادُ المؤمنين المتقين، وعنوانُ التذلُّل والخضوع لرب العالمين.

آداب الدعـــــــاء:

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في كتابه " الجواب الكافي ص 9" مبينًا آداب الدعاء:

وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب وذلًا له وتضرعًا ورقّة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألحّ عليه في المسألة، وتملّقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرَدّ أبدًا، ولاسيما إذا صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنّة الإجابة، أو أنها متضمّنة للاسم الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب ". اهـ.

فهذه جملة من آداب الدعاء ذكرها ابن القيم –رحمه الله– على الإجمال والتي بها لا يرد الدعاء إن شاء الله فاحرص على تحقيقها.

ويُمكن تلخيص هذه الآداب في الأمور التالية:

الأول: حضورُ القلب وجَمعِيَّتُه بكليَّته على المطلوب.

الثاني: تحرِّي أوقات الإجابة.

الثالث: أن يكون عن خشوع في القلب وتذلُّل وتضرُّع ورِقَّةٍ وانكسارٍ بين يدي الله عزَّ وجلَّ.

الرابع: أن يستقبل الداعي القبلةَ.

الخامس: أن يكون على طهارة.

السادس: أن يرفع يديه إلى الله عزَّ وجلَّ عند الدعاء.

السابع: أن يبدأ دعاءَه بحمد الله وحسن الثناء عليه، ثمَّ يُثَنِّي بالصلاة والسلام على النبي ﷺ.

الثامن: أن يقدِّم بين يدي حاجته وطلبه التوبةَ والاستغفارَ.

التاسع: أن يُلحَّ على الله ويتملَّقه ويُكثر من مناجاته.

العاشر: أن يجمع في دعائه بين الرغبة والرهبة.

الحادي عشر: أن يتوسَّل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العظيمة وتوحيده.

الثاني عشر: أن يُقدِّم بين يدي دعائه صدقة.

الثالث عشر: أن يتخيَّر الأدعية الجامعة التي أخبر النبي ﷺ أنَّها مظنَّةُ الإجابة، أو أنَّها متضمِّنَةٌ لاسم الله

الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى.

فإذا جمع المسلمُ في دعائه هذه الأمورَ العظيمةَ، فإنَّ دعاءَه لا يكاد يُردُّ أبدًا.

وإليك أخي الحبيب آداب الدعاء بشيء من التفصيل:

الأدب الأول: الإخلاص في الدعاء:

وهذا الشرط أعظم شروط الدعاء وبدونه لا يقبل دعاء ولا يرفع عمل. فالإجابة مشترطة بالإخلاص.(انظر فتح الباري:95/11)

عندما يدعو الإنسان أو يسأل، فلا يدع إلا الله، ولا يسأل سواه.

قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (سورة غافر: ١٤)

وقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٩)

والإخلاص في الدعاء يستوجب الاعتقاد بأن المدعو هو القادر وحده على قضاء الحاجات؛ حيث أن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره. (الجامع لأحكام القرآن:311/2)

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي واللفظ له عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" مَن نَزَلتْ به فَاقةٌ، فأَنزَلَها بالنَّاسِ، لَم تُسدَّ فاقتُه، ومَن نَزلَتْ به فاقةً، فأنزلَها باللهِ، فيُوشِكُ اللهُ له برزقٍ عاجلٍ، أو آجلٍ ". (صحيح الجامع: 6566)

وثبت في مسند الإمام أحمد والترمذي أنَّ النبي ﷺ قال لابن عباس –رضي الله عنهما–:" إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيء لَم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لَم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجَفَّت الصُّحف ". (صحيح الجامع:7957) (صحيح سنن الترمذي:٢٠٤٣)

– فقوله ﷺ:" إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ". أمرٌ بالإخلاصِ لله تعالى في السؤال والاستعانة بأن لا يُسأل إلاَّ الله، ولا يُستعان إلاَّ به، وهذا أمرٌ متعيّنٌ على كلِّ مسلم، لأنَّ السؤالَ فيه إظهارُ الذُّلِّ من السائل والمسكنةِ والحاجةِ والافتقارِ، وفيه الاعترافُ بقُدرةِ المسؤول على دفع هذا الضررِ ونيلِ المطلوب وجلبِ المنافعِ ودرءِ المضارِ، ولا يصلحُ الذُّلُّ والافتقارُ إلاَّ لله وحده؛ لأنَّه حقيقةُ العبودية". (جامع العلوم والحكم:٤٨١/١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–:" مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ الشِّدَّةَ وَالضُّرَّ وَمَا يُلْجِئُهُمْ إلَى تَوْحِيدِهِ فَيَدْعُونَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَيَرْجُونَهُ لَا يَرْجُونَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَتَتَعَلَّقُ قُلُوبُهُمْ بِهِ لَا بِغَيْرِهِ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالْإِنَابَةِ إلَيْهِ وَحَلَاوَةِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ طَعْمِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ مَا هُوَ أَعْظَمُ نِعْمَةً عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَالِ الْمَرَضِ وَالْخَوْفِ أَوْ الْجَدْبِ أَوْ حُصُولِ الْيُسْرِ وَزَوَالِ الْعُسْرِ فِي الْمَعِيشَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ

لَذَّاتٌ بَدَنِيَّةٌ وَنِعَمٌ دُنْيَوِيَّةٌ قَدْ يَحْصُلُ لِلْكَافِرِ مِنْهَا أَعْظَمُ مِمَّا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ. وَأَمَّا مَا يَحْصُلُ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ الْمُخْلِصِينَ لِلَّهِ الدِّينَ فَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ كُنْهِهِ مَقَالٌ، أَوْ يَسْتَحْضِرَ تَفْصِيلَهُ بَالٌ، وَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ ذَلِكَ نَصِيبٌ بِقَدْرِ إِيمَانِهِ. اهـ (مجموع الفتاوى 10 / 333)

الأدب الثاني: التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ورد المظالم:

على العبد أن يتوب إلى الله تعالى توبة نصوحًا إذا أراد أن يكون مستجاب الدعوة، لأن المعاصي والذنوب من أسباب عدم قبول الدعاء، وليس هناك شر على القلوب أشد من الذنوب، فإنها إذا استحكمت من القلب باعدت بينه وبين الله تعالى، ولذا تجد أن الأنبياء والرسول–عليهم الصلاة والسلام– كانوا يحثون أقوامهم على التوبة والاستغفار، لأن ذلك من أسباب نزول الغيث والإمداد بالأموال والبنين.

قال نوح–عليه السلام– لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: 10–12)

وقال هود –عليه السلام– لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ (هود: 52)

وكان السلف إذا أرادوا استقضاء حاجة عند مولاهم، بادروا قبل السؤال فيقومون بين يدي ربهم ويصفون أقدامهم ويبسطون أكفهم ويرسلون دموعهم على خدودهم، فيبدءون بالتوبة من معاصيهم، والتذلل لمعبودهم، ويأخذون في الثناء عليه وتقديسه وتنزيهه وتعظيمه ثم يرغبون بعد ذلك في الدعاء.

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: 31)

فالتوبة سبب للفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، فعلى من أراد الدعاء أن يتوب من المعاصي والذنوب والتحلل من المظالم وهو أدب الباطن وهو الأصل في إجابة الدعاء، لأن من لوازم التوبة رد المظالم؛ وهذا يُفعل طاعة لله واستجابة لأمره، حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة: 186) فالاستجابة لأوامر الله سبب لإجابة الدعاء، والنبي ﷺ حكى عن ربه عز وجل في الحديث القدسي أن العبد إذا تقرب إلى الله بالنوافل أحبه الله، وإذا أحبه الله أعطاه ما يريد، فقال سبحانه:" ولئن سألني لأعطينه ". (والحديث عند البخاري) فعلى العبد أن يتوب عن المعاصي والذنوب حتى يقبل الله تعالى دعاءه ويستجيب له.

الأدب الثالث: تحري الحلال، وتجنب الحرام:

فعلى من أراد الدعاء أن يتحرى الحلال الطيب في مأكله، ومشربه، وملبسه، وفي جميع أحواله.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يا أيُّها الناس، إنَّ اللهَ طيّبٌ لا يقبل إلاَّ طيّبًا، وإنَّ اللهَ تعالى أمَرَ المؤمنين بما أمر به المرسَلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون،:٥١)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة،: ١٧١)، ثمَّ ذَكَرَ الرَّجلَ يُطيل السَّفر أشعث أغبر يَمدُّ يديه إلى السماء يا ربِّ يا ربِّ، ومطعمُه حرام، ومشربُه حرامٌ، وملبسُه حرام، وغُذِيَ بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك ".

فإذا نظرت في هذا الحديث وجدت فيه أربعة شروط لقبول الدعاء؛ الأول: قوله ﷺ:" الرَّجلَ يُطيل السَّفر"، والمسافر له دعوة مستجابة؛ كما ثبت في سنن أبي داود والترمذي أن النبي ﷺ قال:" ثلاثُ دعوات مستجابات لا شكَّ فيهنَّ: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده ". (الصحيحة:٥٩٦)

ومتى طال السفرُ كان أقربَ إلى إجابةِ الدعاء؛ لأنَّه مظنَّةُ حصولِ انكسار النفس بطول الغُربةِ عن الأوطان وتحملِ المشاق، والانكسارُ من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

الثاني: قوله ﷺ:" أشعث أغبر"؛ فحصول التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والإغبار من مقتضيات الإجابة.

وقد أخرج أبو داود وغيرُه عن ابن عباس–رضي الله عنهما– لَمَّا سُئل عن صلاة رسول الله ﷺ في الاستسقاء؟ قال:" خرج رسول الله ﷺ متبذِّلًا متواضعًا مُتضرِّعًا ". (حسَّنه الألباني في الإرواء:١٣٣/٣)

وقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم:" رُبَّ أشعث أغبَر مدفوع بالأبواب، لو أَقسمَ على الله لأبرَّه ".

الثالث: قوله ﷺ:" يَمدُّ يديه إلى السماء"؛ وقد تواترت الأخبار على أن مدَّ اليدين إلى السماء، مِن آداب الدعاء التي يُرجى بسببها إجابته، كما جاء في سنن أبي داود وغيره عن سلمان الفارسيِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إنَّ اللهَ حيِيٌّ كريم، يستحي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردَّهما صِفْرًا خائبتين ". (صحيح الجامع:١٧٥٧)

الرابع: قوله ﷺ:" يا ربِّ يا ربِّ "؛ وهو الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته، وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء؛ ومع وجود هذه الشروط التي تقتضي الإجابة؛ يقول النبي ﷺ:" فأنَّى يُستجاب لذلك"، والمانع من الإجابة مع وجود هذه الشروط: أن مطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام.

قال ابن رجب–رحمه الله– في الحديث السابق:" أكل الحرام، وشربه، ولبسه، والتغذي به؛ سبب موجب لعدم إجابة الدعاء ". (جامع العلوم والحكم ص 92)

وقال الإمام النووي–رحمه الله– في شرحه على مسلم:104/7" معلقا على الحديث السابق:

" وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المأكول والمشروب والملبوس ينبغي أن يكون حلالًا خالصًا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره ". اهـ

ويقول ابن كثير–رحمه الله– في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 172) يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم، وأن يشكروه تعالى على ذلك، والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة ". اهـ

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ–رحمه الله–:" شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع، والخوف، والرجاء، والمداومة، والخشوع، والعموم، وأكل الحلال ".

وقيل شروط الدعاء أربعة: أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام ". (تفسير القرطبي:689/2)

الأدب الرابع: الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة:

ولذلك فإن دعاء يونس–عليه السلام–من أعظم الأدعية إن لم يكن أعظمها، وما ذلك إلا لأنه ضمنه اعترافه بوحدانية الله عز وجل، وإقراره بالذنب والخطيئة والظلم للنفس، كما قال تعالى عنه:

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87). (انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 336/10، فقد بسط القول في هذا الدعاء)

وقال تعالى عن داود–عليه السلام–: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (24) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (سورة ص:24،25)

وقال تعالى عن موسى–عليه السلام–: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص:16)

وكذلك الحال بالنسبة للدعاء العظيم المسمى بسيد الاستغفار، والذي يعد أفضل صيغ الاستغفار، ومن أسباب أفضليته أنه تضمن الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة، كما جاء في حديث شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال:" سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها في النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة ".

(رواه البخاري والترمذي)

الأدب الخامس: حضور القلب عند الدعاء:

فقد أخرج الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإنَّ الله لا يقبلُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاَهٍ ". (ضعف جمهور أهل العلم هذا الحديث لكن الشيخ الألباني صححه في صحيح الجامع:٢٤٥، والصحيحة:564)

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ هذه القلوبَ أوعيةٌ، فبعضُها أوعى من بعض، فإذا سألتم اللهَ فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإنَّ اللهَ لا يستجيبُ لعبدٍ دعاءً من ظهرِ قلبٍ غافل ". (الصحيحة:٥٩٤)

فيجب على الإنسان إذا دعا ربه سبحانه وتعالى أن يستحضر القلب والفكر ويتدبر فيما يقول، وأن يخرج الدعاء من قلبه قبل أن يخرج من لسانه، كما يدل على ذلك قول النبي ﷺ:" فإنَّ الله لا يقبلُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاَهٍ ".

قال المباركفوري–رحمه الله– في" تحفة الأحوذي:450/9": وقوله:" وأنتم موقنون بالإجابة" أي والحال أنكم موقنون بها، أي كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة من إتيان المعروف، واجتناب المنكر، ورعاية شروط الدعاء: كحضور القلب، وترصد الأزمنة الشريفة، واغتنام الأحوال اللطيفة كالسجود إلى غير ذلك، حتى تكون الإجابة على قلوبكم أغلب من الردّ، أو أراد وأنتم معتقدون أن الله لا يخيبكم لسعة كرمه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، لتحقق صدق الرجاء وخلوص الدعاء؛ لأن الداعي ما لم يكن رجاؤه واثقا لم يكن دعاؤه صادقا. وقوله:" من قلب غافل" بالإضافة وتركها أي معرض عن الله أو عما سأله." لاه" من اللهو أي لاعب بما سأله أو مشتغل بغير الله تعالى. وهذا عمدة آداب الدعاء ولذا خص بالذكر ". اهـ

وقال ابن رجب الحنبلي–رحمه الله– في" كتابه جامع العلوم والحكم":" الدعاء سببٌ مقتضٍ للإجابة معَ استكمال شرائطه، وانتفاء موانعه، وقد تتخلَّف إجابته، لانتفاءِ بعض شروطه، أو وجود بعض موانعه ومن أعظم شرائطه: حضور القلب....". اهـ

وَقَال ابن عَطَاء–رحمه الله–:" لِلدُّعَاء أرْكَان، وَأجنِحَة، وَأسْبَاب، وَأوْقَات. فَإن وَافَق أرْكَانَه قَوِي، وَإن وَافَق اجْنَحَته طَار فِي السَّمَاء، وَإن وَافَق مَوَاقِيتَه فَاز، وَإن وَافَق أسْبَابَه أنْجَح. فَأرْكَانُه: حُضُور الْقَلْب، وَالرّقَّة، وَالاسْتِكَانَة، وَالْخُشُوع، وَتَعلُّق الْقَلْب بِالله، وَقَطْعُه مِن الْأَسْبَاب، وَأجْنِحَتُه: الصّدْق. وَمَوَاقِيتُه: الأسْحَار. وَأسْبَابُه: الصَّلَاة عَلَى مُحَمَّد ﷺ ". (تفسير القرطبي:689/2)

الأدب السادس: الوضوء عند الدعاء - إن أمكن -:

أخرج الإمام أحمد والترمذي واللفظ له عن عليّ بنِ أبي طالب ﷺ قال:" خرجْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ حتى إذا كان بحرَّةِ السُّقيا التي كانَتْ لسعدِ بنِ أبي وقاصٍ ﷺ فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" ائتوني بوَضوءٍ فتوضأَ ثم قامَ فاستقبلَ القبلةَ فقال:" اللَّهمَّ إن إبراهيمَ كان عبدكَ وخليلكَ ودعا لأهل مكةَ بالبركةِ وأنا عبدُكَ ورسولُكَ أدعوكَ لأهلِ المدينةِ أن تباركَ لهم في مدِّهم وصاعِهم مثلَ ما باركْتَ لأهلِ مكةَ مع البركةِ بركتينِ ". (صحيح الترمذي: 3914) (صحيح الجامع: 1272)

عندما بعث النبي ﷺ عبيدًا أبا عامر ﷺ علَى جَيْشٍ إلى أَوْطَاسٍ ورَمَاهُ رَجُلٌ مِن بَنِي جُشَمٍ بسَهْمٍ وقبل أن يموت قالَ لأبي موسى الأشعري: يا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فأقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ له: يقولُ لكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي....الحديث". وفيه: فَدَعَا رَسولُ اللهِ ﷺ بمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ منه، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ حتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَومَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِن خَلْقِكَ...". (والحديث رواه مسلم)

قال الحافظ–رحمه الله– في فتح الباري:639/7" عند هذا الحديث:" ويستفاد من الحديث استحباب التطهر لإرادة الدعاء ". اهـ

الأدب السابع: استخدام السواك عند إرادة الدعاء:

ووجه ذلك أن الدعاء عبادة باللسان، فتنظيف الفم عند ذلك أدب حسن، ولهذا جاءت السنة المتواترة بمشروعية السواك للصلاة، والعلة في ذلك تنظيف المحل الذي يكون الذكر به في الصلاة. (انظر تحفة الذاكرين ص44)

الأدب الثامن: رفع الأيدي في الدعاء:

إنَّ من آداب الدعاء العظيمة رفعَ اليدين في الدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ، فحين يسأل العبد ربه ويطلب منه، فإنه يمد يديه كالمتسول المستجدي المستعطف الراغب في كرم الله، ويكون على يقين أن هاتين اليدين لا تُرد إلا وقد ملئت خيرًا كما وعد الله تعالى.

ورفع اليدين ثابت عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة عدَّها بعضُ أهل العلم في جملة ما تواتر فيه النقلُ عن النبيّ الكريم ﷺ.

قال السيوطي في" شرحه لتقريب الإمام النووي ممثّلا لِما تواتر معناه عن النبي ﷺ:" فقد ورد عنه ﷺ نحوُ مائة حديث فيه رفعُ يديه في الدعاء، وقد جمعتها في جزء، لكنها في قضايا مختلفة، فكلُّ قضية منها لَم تتواتر، والقدر المشترَك فيه هو: الرفعُ عند الدعاء تواتَر باعتبار المجموع ". (تدريب الراوي:٢/١٨٠)

– حتى خصَّص الأئمة أبوابًا لذلك في مصنفاتهم؛ فبوب الإمام الترمذي في "جامعه": (بَاب مَا جَاءَ فِي رَفْعِ الأَيْدِي عِنْدَ الدُّعَاءِ)، وابن ماجه في "سننه": (بَابُ رَفْعِ الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاءِ).

– وعقد الإمام البخاري–رحمه الله– في" كتابه الصحيح في كتاب الدعوات منه بابًا بعنوان:" رَفْعِ الأَيْدِي فِي الدُّعَاءِ "، وأورد تحته حديث عن عبيد أبي عامر ﷺ عندما بعثه النبي ﷺ علَى جَيْشٍ إلى أَوْطَاسٍ ورَمَاهُ رَجُلٌ مِن بَنِي جُشَمٍ بسَهْمٍ وقبل أن يموت قالَ لأبي موسى الأشعري: يا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فأقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ له: يقولُ لكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي....الحديث". وفيه: فَدَعَا رَسولُ اللهِ ﷺ بمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ منه، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ حتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَومَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِن خَلْقِكَ...". (والحديث رواه مسلم)

– وعن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال:" رفع النبيُّ ﷺ يديه وقال:" اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليك ممَّا صنع خالد ". (رواه البخاري تعليقًا).

وقد أشار شارح الصحيح الحافظُ ابن حجر– رحمه الله– إلى كثرة الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في هذا المعنى، وذكر جملةً من الأحاديث في ذلك، منها:

– حديث أبي هريرة ﷺ قال:" قدم الطُفيل بن عمرو ﷺعلى النبي ﷺ فقال: إنَّ دوسًا عصت فادعُ اللهَ عليها، فاستقبل القبلةَ ورفع يديه، فقال: اللَّهمَّ اهدِ دوسًا ". (أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد، وهو في الصحيحين دون قوله: " ورفع يديه ")

– والنبي ﷺ رفع يديه في حديث، وقال:" أُمَّتِي أُمَّتِي". وفي آخر الحديث قال الله تعالى:" إنَّا سنُرضيك في أُمَّتك ولا نسوؤك ". (رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما–)

– وحديث عائشة:" أنَّها رأت النبي ﷺ يدعو رافعًا يديه يقول: اللَّهمَّ إنَّما أنا بشر فلا تعاقبني، أيما رجل من المؤمنين آذيته أو شتمته[1] فلا تعاقبني فيه ". (أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وهو في مسند الإمام أحمد)

– وفي صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ في حديث الكسوف قال:" فانتهيتُ إلى النبيّ ﷺ وهو رافعٌ يديه يدعو ".

– وفي حديث عائشة –رضي الله عنها–:" لَمَّا دعا النبي ﷺ لأهل البقيع رفع يديه ثلاث مرَّات ". (رواه مسلم)

– وفي حديث أبي هريرة ﷺ الطويل في فتح مكة:" فرفع يديه وجعل يدعو ". (رواه مسلم)

– وفي الصحيحين من حديث أبي حُميد في قصة ابن اللُّتْبِيَّة:" ثمَّ رفع يديه حتى رأيتُ عفرة إبطيه يقول: اللَّهمَّ هل بلَّغت ". (رواه البخاري مسلم)

– وفي حديث أسامةﷺ:"كنت رديف النبيّ ﷺ بعرفات فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته فسقط خطامها فتناوله بيده وهو رافعٌ اليدَ الأخرى ". (أخرجه النسائي بسند جيّد)

وذكر الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في" فتح الباري: ١١/142" أحاديث في ذلك كثيرة ".

– وقد مر بنا لما دعا ﷺ لعبيد أبي عامر ﷺ وذلك لما بعثه علَى جَيْشٍ إلى أَوْطَاسٍ ورَمَاهُ رَجُلٌ مِن بَنِي جُشَمٍ بسَهْمٍ وقبل أن يموت قالَ لأبي موسى الأشعري: يا ابْنَ أَخِي انْطَلِقْ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ فأقْرِئْهُ مِنّي السَّلَامَ، وَقُلْ له: يقولُ لكَ أَبُو عَامِرٍ: اسْتَغْفِرْ لِي....الحديث" وفيه: فَدَعَا رَسولُ اللهِ ﷺ بمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ منه، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبِي عَامِرٍ حتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إبْطَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ يَومَ القِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِن خَلْقِكَ...". (والحديث رواه مسلم)

– لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ، فَما زَالَ يَهْتِفُ برَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ، فأتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فأخَذَ رِدَاءَهُ، فألْقَاهُ علَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِن وَرَائِهِ، وَقالَ: يا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فإنَّه سَيُنْجِزُ لكَ ما وَعَدَكَ، فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: 9) ". (الحديث رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ)

1– النَّبيُّ ربما كان يعتريه ما يعتري البَشَرَ مِن الغضَبِ ونحوِه(وكان لا يغضب إلا لله)، إلَّا أنَّه ﷺ أحسنُ النَّاسِ خُلقًا، وكان بأُمَّتِه رَؤوفًا رَحيمًا، ومِن مَظاهِرِ حُسنِ خُلُقِه ورَحمتِه ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اللَّهُمَّ إنَّما أنا بَشَرٌ، فأيُّما رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أوْ لَعَنْتُهُ، أوْ جَلَدْتُهُ، فاجْعَلْها له زَكاةً ورَحْمَةً.– وفي روايةٍ: زَكاةً وأَجْرًا.– وفي روايةٍ:" اللَّهُمَّ فأيُّما مُؤْمِنٍ سَبَبْتُهُ، فاجْعَلْ ذلكَ له قُرْبَةً إلَيْكَ يَومَ القِيامَةِ ".

وأخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ: أنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَومَ الجُمُعَةِ مِن بَابٍ كانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، ورَسولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قالَ: فَرَفَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا. قالَ أنَسٌ ﷺ: ولَا واللَّهِ ما نَرَى في السَّمَاءِ مِن سَحَابٍ، ولَا قَزَعَةً، ولَا شيئًا، وما بيْنَنَا وبيْنَ سَلْعٍ مِن بَيْتٍ، ولَا دَارٍ. قالَ: فَطَلَعَتْ مِن ورَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، انْتَشَرَتْ ثُمَّ أمْطَرَتْ، قالَ: واللَّهِ ما رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِن ذلكَ البَابِ في الجُمُعَةِ المُقْبِلَةِ، ورَسولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأمْوَالُ وانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا، قالَ: فَرَفَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، ولَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ علَى الآكَامِ والجِبَالِ، والآجَامِ والظِّرَابِ، والأوْدِيَةِ ومَنَابِتِ الشَّجَرِ. قالَ: فَانْقَطَعَتْ، وخَرَجْنَا نَمْشِي في الشَّمْسِ. قالَ شَرِيكٌ: فَسَأَلْتُ أنَسَ بنَ مَالِكٍ ﷺ: أهو الرَّجُلُ الأوَّلُ؟ قالَ: لا أدْرِي.

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ رفع يديه في المرتين التي دعا فيهما.

وأخرج أبو داود والنسائي عن أنسٌ ﷺ أنه سُئل هل كان رسولُ اللهِ ﷺ يرفع يدَيه –أي في الدعاء– فقال: قيل له يومَ الجمعةِ يا رسولَ اللهِ! قحَط المطرُ، وأجدبَتِ الأرضُ، وهلك المالُ، قال: فرفع يدَيه حتى رأيتُ بياضَ إبطَيه فاستسقى، ولقد رفع يدَيه وما نرى في السماءِ سحابةً، فما قضينا الصلاةَ حتى أنّ الشابَّ قريبَ الدارِ ليهمَّه الرجوعُ إلى أهلِه قال: فلما كانت الجمعةُ التي تليها قالوا: يا رسولَ اللهِ! تهدَّمتِ البيوتُ، واحتُبستِ الرُّكبانُ فتبسَّم رسولُ اللهِ ﷺ من سُرعةِ ملالةِ ابنِ آدمَ وقال:" اللهمَّ حوالَيْنا ولا علينا". قال: فتكشَّطتْ عن المدينةِ.

وذكر النووي في كتابه الأذكار: "باب رفع اليدين في الدعاء" عن الأوزاعي قال:" خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر! ألستم مقرين بالإساءة؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول:" ما على المحسنين من سبيل" وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم، فسقوا ". اهـ

– وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ قال:" إن ربّكم حييّ كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردّهما صِفْرًا [1] خائبتين ".

– وفي رواية:" إن ربّكم حييّ كريم، يستحيي أن يبسط العبد يديه إليه أن يرُدَّهما صِفْرًا ". (صحيح الجامع: 2070)

1– والصِفر: الفارغ، أو الخالي.

– وفي رواية:" إنَّ اللَّهَ حيِيٌّ كريمٌ يستحي إذا رفعَ الرَّجلُ إليْهِ يديْهِ أن يردَّهما صفرًا خائبتينِ ". (صحيح الجامع:1757)

قال أبو داود–رحمه الله–:" ورأيت أحمد يرفع يديه– أي في الدعاء–". (مسائل أحمد لأبي داود ص 66)

تنبيهات:

أ– ورفع اليدين إنما يكون في الدعاء العام، وما ورد الدليل على مشروعية رفع اليدين فيه، كرفع اليدين في الدعاء عند الصفا والمروة، وفي الاستسقاء يوم الجمعة ونحو ذلك، لأن هناك أدعية لا ترفع فيها الأيدي مثل دعاء دخول المنزل، والخروج منه، ودخول الخلاء، والخروج منه.

ب– المبالغة في رفع اليدين حتى يظهر بياض الإبط حال اشتداد الكرب:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما مِن عبدٍ يرفعُ يديهِ حتَّى يبدوَ إبطُهُ يسألُ اللَّهَ مسألةً، إلَّا آتاها إيَّاهُ ما لم يَعجَلْ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ وَكَيفَ عجَلتُهُ؟ قالَ: يقولُ: قد سألتُ وسألتُ ولم أُعطَ شيئًا". (صحيح الترمذي: 3604)

وهذه الهيئة مما تظهر التعلق بالله والافتقار إليه، والإلحاح عليه.

جـ– سؤال الله تعالى يكون ببطون الأيدي:

فمن أراد رفع اليدين للدعاء فعليه أن يرفعهما ملتصقتين، ولا يفرج بين أصابعه، فيكون باطن الكفين مما يلي وجه الداعي، أو يكون باطنهما للسماء وظهرهما للأرض.

ودليل ذلك ما أخرجه أبو داود من حديث مالك بن يسارﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا سألتم اللهَ فاسألوه ببطون أكفِّكم، ولا تسألوه بظهورها ". (ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في الصحيحة:٥٩٥، وصحيح أبي داود:1318)

– وعند الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما– قال:"كان النبي ﷺ إذا دعا جعل باطن كفه إلى وجهه ". (صحيح الجامع:4721)

ورفع اليدين إلى الله عزَّ وجلَّ حال الدعاء، هو أدب رفيع من المخلوق الفقير المحتاج إلى ربِّه الغنيّ الجواد الكريم؛ حيث يُظهرُ المخلوقُ برفعه يديه احتياجَه لربِّه، وافتقارَه إليه، وذُلَّه، وخضوعَه وانكسارَه بين يدي ربِّه، وكلَّما عظمت حاجة المخلوق واشتدت رغبتُه وزاد إلحاحُه بالَغَ في رفعه يديه وزاد في مدِّهما إلى الله متذلِّلًا متوسِّلًا، ولهذا كان دعاءُ الاستسقاء فيه من الرغبةِ والإلحاح ما ليس في غيره، وفي ذلك أعظمُ دلالة على توحيد الله وتعظيمه، وغِناه الكامل عن خلقه وافتقارهم واحتياجهم إليه.

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر: ١٥)

د- رفع اليد للدعاء له ثلاث هيئات ذكرهم ابن عباس-رضي الله عنهما- مرفوعًا وموقوفًا فقال:

" المسألةُ: أن ترفع يديك حذوَ منكبيك، أو نحوهما، والاستغفارُ: أن تشير بأصبع واحدة، والابتهال: أن تمدَّ يديك جميعًا ". (رواه أبو داود والطبراني) – وفي لفظ:" هكذا الإخلاص؛ يشير بإصبعه التي تلي الإبهام، وهذا الدعاء؛ فرفع يديه حذو منكبيه، وهذا الابتهال؛ فرفع يديه مدًّا ". (صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ١٣٢١ موقوفًا ومرفوعًا)

فهذه ثلاث هيئات لرفع اليد في الدعاء: فإذا كان الدعاءُ ابتهالًا وتضرُّعًا فإنَّ رفعَ اليدين يكون بمدِّهما نحو السماء حتى يبدو بياضُ الإبط، وإذا كان الدعاءُ دعاءَ المسألة فيكون رفع اليدين إلى المنكبين أو نحوهما، وإذا كان الدعاءُ استغفارًا وتمجيدًا وثناءً فإنَّ الرفعَ يكون بإصبع واحدة، وهي السبابة من اليد اليمنى، وهذا للخطيب في الجمعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: فجعل المراتبَ ثلاثة: الإشارة بإصبعٍ واحدة، كما كان يفعل يوم الجمعة على المنبَر، والثانية: المسألة، وهو أن يجعل يديه حذو منكبيه، كما في أكثر الأحاديث، والثالث: الابتهال، وهو الذي ذكره أنس ﷺ، ولهذا قال:" كان يرفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه "، وهذا الرفعُ إذا اشتدَّ كان بطون يديه مِمَّا يَلِي وجهه والأرض، وظهورُهما مما يلي السماء.

وبما تقدَّم يتبيَّن أنَّ الدعاءَ مشروعٌ فيه رفع اليدين سواء في الاستسقاء أو غيره، بل إنَّ الرفعَ من أسباب الإجابة، كما في الحديث:" إنَّ ربَّكم حيِّيٌ كريم، يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرًا"، أي خائبتين، لكن صفة الرفع في الاستسقاء الذي هو مقام شدَّة ورهب تكون بالمبالغة في الرفع والابتهال الشديد، وأما ما سواه فيكون الرفعُ إلى المنكبين أو نحوِهما، عملًا بجميع الأحاديث الواردة في الباب.

هـ- ذهب بعضُ أهل العلم إلى أنَّ الدعاءَ لا يُشرع فيه رفع اليدين إلاَّ في الاستسقاء فقط، أمَّا سوى ذلك من الأدعية فلا يُشرع فيها رفع اليدين. واستدلوا بما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ أنَّه قال:" كان النبيُّ ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه إلاَّ في الاستسقاء، فإنه كان يرفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه".

لكنَّ هذا الحديث معارَضٌ بأحاديث كثيرة دالة على مشروعية رفع اليدين في الدعاء في غير الاستسقاء، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" والصحيح الرفع مطلقًا، وقد تواترت الأحاديث بذلك.

والجواب عن حديث أنس ﷺ السابق: أن المراد بكلام أنس ﷺ هو حصر رفع اليدين في صلاة الاستسقاء

على هيئة مخصوصة[1]، كما قال بهذا جمع من العلماء، وما مر معنا من أحاديث يدل على أن النبي ﷺ رفع اليدين عند الدعاء في غير الاستسقاء.

و- البعض إذا دعا مسح وجهه بيديه بعد الدعاء، وهذا ورد فيه بعض الأحاديث إلاَّ أنَّها لا تثبت عن النبي ﷺ ومنها:" كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا مَدَّ يَدَيهِ في الدعاءِ لَمْ يَرُدَهُما حتى يَمْسَحَ بِهما وجْهَهُ ". (حديث ضعيف)

ومن هذه الأحاديث: كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا مدَّ يديهِ في الدُّعاءِ لم يحطَّهما حتَّى يمسحَ بِهما وجهَه ". (حديث لا يصح)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" وأمّا رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء فقد جاء فيه أحاديث كثيرةٌ صحيحةٌ، وأمّا مسحه وجهه بيديه فليس عنه فيه إلاَّ حديثٌ أو حديثان لا يقوم بهما حجة ". (مجموع الفتاوى: ٢٢/٥١٩)

ز- ومن الناس من إذا دعا أو قبل أن يدعو يمسح إحدى اليدين بالأخرى أو ينفض يديه ونحو ذلك، ومنهم من يُقبِّلُ يديه بعد رفعهما للدعاء، وهذا كله لا أصل له.

الأدب التاسع: استقبال القبلة:

فيستحب لمن أراد الدعاء أن يستقبل القبلة، وكان هذا من هدي النبي ﷺ. فقد استقبل النبي ﷺ القبلة عند دعائه في أحاديث عديدة منها:

ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد ﷺ قال:" خرج النبيُّ ﷺ إلى هذا المصلَّى يستسقي، فدعا واستسقى، ثمَّ استقبل القبلة وقلب رداءَه ".

من ذلك أيضًا ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال:" استقبل النبي ﷺ الكعبةَ فدعا على نفر من قريش...الحديث ".

وأخرج البخاري ومسلم عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ:" اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ، ثَلاثًا ".

1- وهو أن يكون ظهور الكفين إلى السماء وبطونهما مما يلي الأرض، كما جاء في صحيح مسلم عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ استسقى فأشار بظهر كفَّيه إلى السماء". وعند الإمام أحمد بلفظ: فبسط يديه وجعل ظاهرهما مما يلي السماء".

وعند أبي داود بلفظ: استسقى هكذا- يعني مد يديه وجعله بطونهما مما يلي الأرض -.

تنبيه: قال بعض أهل العلم: أن النَّبيّ ﷺ لم يقصد قلب كفيه، إنما حصل لهُ من شدة رفع يديه إنحاء بطونهما إلى الأرض.

ومر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال:" لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ ثمَّ مدَّ يديه، فجعل يهتف بربِّه: اللَّهمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهمَّ آتِ ما وعدتني، اللَّهمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض، فما زال يهتف بربِّه مادًّا يديه مستقبلَ القبلة حتى سقط رداؤُه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءَه فألقاه على منكبيه ثمَّ التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتُك ربَّك، فإنَّه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال: ٩)

وثبت كذلك استقبالُ القبلة في الدعاء في الحج على الصفا والمروة وفي عرفة وعند المشعر الحرام وعند الجمرة الأولى والثانية، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تدلُّ على مشروعية استقبال القبلة وقت الدعاء، وأنَّ ذلك أفضلُ وأكملُ للداعي.

تنبيه: واستقبالُ القبلة ليس لازمًا ولا واجبًا في الدعاءِ؛ لأنَّ النبي ﷺ ثبت عنه أنَّه دعا وهو غير مستقبل القبلة. كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ: أنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَومَ الجُمُعَةِ مِن بَابٍ كانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، ورَسولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قالَ: فَرَفَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا...."، الحديث

ومعلومٌ أنَّ الخطيب وقت الخطبة يكون معطيًا القبلة ظهره، فهذا فيه دلالة على أنَّ استقبال القبلة ليس شرطًا في الدعاء، لكنَّه هو الأوْلى والأكمل.

الأدب العاشر:

يفتتح الدعاء بالثناء على الله تعالى، ثم يصلي على النبي ﷺ:

فالداعي يبدأ دعاءه بحمد الله على نعمه الظاهرة والباطنة، ويثني عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، ثم يصلي على النبي ﷺ قبل الشروع في الدعاء، وهذا أدعى لقبول الدعاء.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد ﷺ قال: سمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ رجلًا يَدعو في صلاتِهِ لم يُمجِّدِ اللَّهَ تعالى، ولم يُصلِّ علَى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: عجِلَ هذا، ثمَّ دعاهُ فقالَ لَهُ أو لغيرِهِ: إذا صلَّى أحدُكُم[1] فليَبدَأ بتَمجيدِ ربِّهِ جلَّ وعزَّ، والثَّناءِ علَيهِ، ثمَّ يصلِّي علَى النَّبيِّ ﷺ ثمَّ يَدعو بَعدُ بما شاءَ ". (صحيح أبي داود: 1481) (صحيح الجامع:648)

وفي رواية: إذا صلَّى أحدُكُم فليَبدَأ بتحميدِ الله تعالى، والثَّناءِ علَيهِ، ثمَّ ليصلِّ علَى النَّبيِّ، ثمَّ ليَدْع بَعدُ بما شاءَ".

وأخرجه أيضًا الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث فضالة بن عبيد ﷺ بلفظ:" بينا رسولُ اللَّهِ ﷺ قاعدٌ إذ دخلَ رجلٌ فصلَّى فقال: اللَّهمَّ اغفر لي وارحمني، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: عجِلتَ أيُّها المصلِّي، إذا صلَّيتَ فقعدتَ فاحمَدِ اللَّهَ بما هوَ أَهلُه، وصلِّ عليَّ ثمَّ ادعُه. قال: ثمَّ صلَّى رجلٌ آخرُ بعدَ ذلِكَ فحمدَ اللَّهَ وصلَّى على النَّبيِّ ﷺ فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: أيُّها المصلِّي ادعُ تُجَب ". (صحيح الجامع:3988) (صحيح الترمذي: 3476)

وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمدحة، والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم ليسأل بعدُ، فإنه أجدر أن ينجح ".

قال الخطابي–رحمه الله–:" ولْيَتَخَيَّرْ لدعائه، والثناء على ربه أحسن الألفاظ، وأنبلها، وأجمعها للمعاني، لأنه مناجاة العبد سَيِّدَ السادات، الذي ليس له مثل، ولا نظير". (شأن الدعاء للخطابي ص 15). (السلسلة الصحيحة:3204)

ومن الأمثلة على تقديم الثناء على الله في الدعاء:

– ما جاء في فاتحة الكتاب حيث قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم (1) الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِين (2) الرَّحْمنِ الرَّحِيم (3) مَلِكِ يَوْمِ الدِّين (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ (الفاتحة:1–5) وكل هذا تمجيد وثناء على الله تعالى، ثم بعد ذلك كان الدعاء والطلب ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴾ (الفاتحة: 6)

1– إذا صلَّى أحدُكُم: أي: إذا دعا أحدكم، والصلاة لغة: هي الدعاء.

ومن "سورة الفاتحة" نتعلم أن إطالة الثناء في أول الدعاء مشروع، فقد استغرق نصف الفاتحة، ثم يأتي الانكسار، ثم السؤال ويكونا في القدر دون الأول ".

مما يدل على هذا أيضًا ما أخرجه البخاري ومسلم عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما– قال:" كانَ النبيُّ ﷺ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قالَ: اللَّهُمَّ لكَ الحَمْدُ أنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ لكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ولَكَ الحَمْدُ أنْتَ الحَقُّ ووَعْدُكَ الحَقُّ، ولِقَاؤُكَ حَقٌّ، وقَوْلُكَ حَقٌّ، والجَنَّةُ حَقٌّ، والنَّارُ حَقٌّ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ، ومُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حَقٌّ، والسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لكَ أسْلَمْتُ، وبِكَ آمَنْتُ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعْلَنْتُ، أنْتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلَهَ إلَّا أنْتَ ". زَادَ بعض الرواة:" ولَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ ". فالنبي ﷺ حمد الله تعالى وأثنى عليه وبعبوديته له ثمَّ سأله بعد المغفرة ".

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في شرحه لهذا الحديث:" وفيه استحبابُ تقديم الثناء على المسألة عند كلِّ مطلوب اقتداءً به ﷺ ". (فتح الباري:٣/٥)

وفي حديث الشفاعة الطويل وهو عند البخاري ومسلم وفيه:".... فأسْتَأْذِنُ علَى رَبِّي، فيُؤْذَنُ لِي، فإذا أنا رَأَيْتُهُ وقَعْتُ ساجِدًا، فَيَدَعُنِي ما شاءَ اللَّهُ، فيُقالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، قُلْ تُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرْفَعُ رَأْسِي، فأحْمَدُ رَبِّي بتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ رَبِّي، ثُمَّ أشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ...الحديث".

فتجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ قدم بين يدي الشفاعة تحميدًا وتمجيدًا.

وكذلك الخليل إبراهيم–عليه السلام– لما أراد مناجاة مولاه في استقضاء حوائجه واستدرار ما في خزائنه، بدأ بالثناء على ربه قبل سؤاله فبدأ بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشعراء:78–82)

فأثنى على الله سبحانه بخمسة أمور؛ أنه الخالق الهادي، المطعم المسقي، الشافي، المحيي المميت، غافر الذنب. ثم سأل خمس حوائج؛ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (84) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (85) وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (86) وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ (الشعراء:83–87)

فقضى الله سبحانه حوائجه كلها إلا واحدة؛ وهي سؤال المغفرة لأبيه، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ

إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة: 114)

- وكذلك دعاء يوسف -عليه السلام-: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (سورة يوسف: ١٠١)

- وكذلك دعاء أيوب -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلعَابِدِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ٨٣، ٨٤)

- وكذلك دعاءُ أولي الألباب الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة آل عمران: ١٩١)

- وكذلك دعاءُ الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (سورة غافر: ٧)

وكذلك موسى -عليه السلام- قدم الثناء على الله، فقال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 155)

وكذلك يونس -عليه السلام- قال الله تعالى عنه: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87) نادى الله بالتوحيد، ثم نزهه عن النقائص والظلم، اعترافًا واستحقاقًا، فكانت النتيجة: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: 88)

والأمثلة على ذلك كثيرةٌ جدًا، يطول عدُّها، فينبغي على المسلم أن يحافظ على هذا الأدب الرفيع عند سؤاله له سبحانه بأن يُثْنِيَ عليه ويَحمده ويمجّده، ويعترف بفضله وإنعامه، ثمَّ يسأله بعد ذلك ما يشاء من خَيْرَي الدنيا والآخرة.

ترك الصلاة على النبي ﷺ قد يمنع إجابة الدعاء:

فقد أخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حتى يُصلَّى على النبيِّ ﷺ [1] ". (السلسلة الصحيحة: 2035) (صحيح الجامع:4523)

وأخرج الترمذي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ:" إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ[2] ". (قال ابن كثير: إسناده جيد) (وحسنه الألباني في صحيح الترمذي)

قال ابن القيم -رحمه الله-:" فمفتاح الدعاء الصلاة على النبي ﷺ كما أنَّ مفتاح الصلاة الطهور، ثمَّ نقل عن أحمد بن أبي الحوراء قال: سمعت أبا سليمان الداراني-رحمه الله- يقول:" من أراد أن يسأل الله حاجته

1- روى هذا الحديث أيضًا الطبراني في الأوسط موقوفًا على عليّ ﷺ.

2- قال الحافظ العراقي: "وهو وإن كان موقوفا عليه فمثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما هو أمر توقيفي فحكمه حكم المرفوع. وقال القاضي أبو بكر بن العربي عقب ذكره لقول عمر هذا: ومثل هذا إذا قاله عمر لا يكون إلا توقيفا لأنه لا يُدْرَكُ بنظر".

فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ وليسأل حاجته، وليختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإنَّ الصلاةَ على النبي ﷺ مقبولةٌ، والله أكرمُ أن يردَّ ما بينهما ". (جلاء الأفهام ص٢٦٠)

الأدب الحادي عشر:

الدعاء بتضرع، وخشوع، وتذلل، ومسكنة، ورغبة ورهبة:

ومن آداب الدعاء المهمة أن يدعو المسلم ربَّه وهو في حال تضرُّعٍ وخشوعٍ وخضوعٍ وتَذلُّلٍ، بل إنَّ ذلك هو روحُ الدعاء ولبُّه ومقصودُه، فإنَّ الخاشعَ الذليلَ إنَّما يسأل مسألةَ مسكين ذليل قد انكسر قلبُه وذلَّت جوارحُه وخشع صوتُه، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾، فأمر سبحانه بدعائه بتضرُّع وخفية، وحذَّر في هذا السياق من الاعتداء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–:" ومِن العدوان أن يدعوه غير متضرِّع، بل دعاءُ هذا كالمستغني المدلي على ربِّه، وهذا من أعظم الاعتداء لمنافاته لدعاء الذليل، فمَن لَم يسأل مسألة مسكين متضرِّع خائف فهو مُعتد ". (مجموع الفتاوى:٢٣/١٥)

وقال ابن القيم–رحمه الله–في كتابه "بدائع الفوائد:12/3": إن عدم التضرع في الدعاء من الاعتداء في الدعاء ". اهـ

والتضرع والخشوع والمسكنة، والتذلل؛ هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، لأن الدَّاعي يظهر عجزه وافتقاره إلى الله تعالى، ويتبرأ من حوله وقوته، وأنه لا قدرة له على جلب نفع أو دفع ضر إلا بالله تعالى، وأنه إن وكَله الله إلى نفسه ضل وغوى، ولم يقدر على شيء لا من أمر الدنيا –مهما كان حقيرًا– ولا من أمر الآخرة. فيقف على باب المولى عز وجل ذليلا منكسرًا مقرًا بضعفه، وحاجته إلى ربه، وذله بين يديه، ينكس رأسه، ويرفع يديه، يسأل مولاه سبحانه، ويلتجئ إليه في أمره، فهو العبد، والله هو الرب مالك الملك، ذو العظمة والجلال، الذي لا يعجزه شيء وهو الغني عن عباده وهم الفقراء إليه، رب الأرض والسماء، سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، فمن استشعر هذه المعاني لم يكن دعاؤه يرد. (موسوعة الآداب الإسلامية ص 363)

قال الدَّاودي–رحمه الله–:" على الداعي أن يجتهد ويلح ولا يقل:" إن شئت " كالمستثنى ولكن دعاء البائس الفقير ". (فتح الباري:145/1)

قال تعالى عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء:90)

وقال تعالى عن أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء:

83) وعن زكريا عليه السلام دعاءه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (الأنبياء: 89)

وعن يعقوب –عليه السلام– قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: 86)

وعن موسى عليه السلام دعاءه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: 24)

قال بعض أهل العلم:" ادع بلسان الذلة والافتقار؛ لا بلسان الفصاحة والانطلاق ". (الإحياء:306/1)

وقال ابن المبارك–رحمه الله–:" قدمت المدينة في عام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، فخرجت معهم، إذ أقبل غلام أسود، عليه قطعتا خيش، قد اتَّزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي، فسمعته يقول:" إلهي أخْلَقَتِ الوجوهَ عندك كثرةُ الذنوب، ومساوئ الأعمال، وقد حَبَسْتَ عنا غيث السماء، لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليمًا ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعةَ الساعةَ"، فلم يزل يقول: الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام، وأقبل المطر من كل جانب ". (إحياء علوم الدين: 308/1).

الأدب الثاني عشر: أن يكون غرض الداعي جميلًا حسنًا:

كأن يتوسل الداعي إلى الله فيما أجاب دعوته أنه سيترتب على تلك الإجابة عمل صالح، كأن يقول مثلًا: اللهم ارزقني مالًا، لأسلطه على هلكته في الحق، ولأنصر به دين الإسلام، أو: اللهم ارزقني علمًا، كي أعلم العباد دين الله، وأنشر الخير بينهم، أو: اللهم ارزقني زوجة، لأتعفف بها عن المحارم وهكذا... ويشير إلى ذلك قوله تعالى عن موسى –عليه السلام–: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(27) يَفْقَهُوا قَوْلِي(28) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(29) هَارُونَ أَخِي(30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(31)وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا(33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (طه: 25– 35) فماذا كانت النتيجة؟ لقد أجاب الله سؤله، ومنَّ عليه مرة أخرى. ويشير إليه أيضًا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا جاء الرجل يعود مريضًا فليقل: اللهم اشفِ عبدَك فلانًا، ينكأْ لك عدوًّا، أو يمشي لك إلى الصلاة ". (الصحيحة:1504) (صحيح الجامع:466)

الأدب الثالث عشر: البكاء-إن استطاع- حال الدعاء:

وإذا حضر القلب عند الدعاء دمعت العين، وهذا البكاء والانكسار بين يدي الله تعالى سبب لقبول الدعاء وقد أخرج مسلم في صحيحه" باب دعاء النبي لأمته وبكائه شفقة عليهم" من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ تلا قولَ الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36]، وقول عيسى–عليه السلام–: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]، فرفع يديه وقال:" اللهم أمتي أمتي" وبكى، فقال الله عز وجل:" يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك؟"، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال. فقال الله:" يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك ".

الأدب الرابع عشر: الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة:

والافتقارُ إلى الله من الخصال الكريمة التي ينبغي أن يتصفَ بها مَن يدعو اللهَ عزَّ وجلَّ، ويعلم علمَ يقينٍ أنَّه محتاجٌ إلى الله، لا يستغني عنه طرفة عين، وذلك أنَّ الإنسان بل وجميعَ المخلوقات عبادٌ لله تعالى، فقراءُ إليه، مماليكُ له، وهو ربُّهم ومليكُهم وإلهُهم، لا إله لهم سواه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة فاطر: ١٥)

ومع هذا تجد البعض يعتمد على حوله وقوته، أو ماله، أو سلطانه في قضاء حوائجه، ولم يتوجه يومًا من الأيام إلى الله تعالى ويرفع أكف الضراعة ويتذلل ويفتقر إليه سبحانه، ويتبرأ من حوله وقوته، ويطلب من الله قضاء حوائجه بعد الأخذ بالأسباب، أو يعتمد في قضاء حوائجه على مخلوقين ضعفاء مثله، وينسى الخالق سبحانه.

فوالله ثم والله لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، ولا شفاء إلا بيده سبحانه، ولا كاشف للبلوى إلا هو، ولا توفيق ولا فلاح ولا نجاح ولا سعادة إلا من عنده سبحانه، فبيده مقاليد كل شيء. فلماذا إذًا تتعلق القلوب بالأسباب، وتنسى مسبب الأسباب؟، لماذا نتعلق بالمخلوقين الضعفاء العاجزين؟

سل الله ربك ما عنده ولا تسأل الناس ما عندهم

ولا تبتغي من سواه الغنى وكن عبده ولا تكن عبدهم

قال ابن القيم–رحمه الله– في كتابه" الفوائد ":" إذا كان كل خير أصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلّه عن المفتاح بقي باب الخير مرتجا دونه ". اهـ.

وقال أيضًا–رحمه الله–:" من أراد الله به خيرًا فَتح له باب الذل والانكسار، ودوام اللجأ والافتقار إليه ".

وقال سهل التستري–رحمه الله–:" ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار".

والافتقار إلى الله والتبرؤ من الحول والقوه تجده في كثير من أدعية الأنبياء والمرسلين:

ها هو يعقوب–عليه السلام– لما قال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف:67) فعندما تبرأ من حوله وقوته وفوض أمره إلى الله؛ أعطاه الله ما أراد، ورد عليه يوسف وأخيه.

وها هو يوسف –عليه السلام– قال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِين (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾ (يوسف: 33،34)

وعندما قال يوسف –عليه السلام– أيضا: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين﴾ (يوسف: 101) وهنا أيضا تجد أن يوسف–عليه السلام– تبرأ من حوله وقوته ونسب كل ما فيه من فضل إلى الله تعالى فأثنى عليه بما هو أهله، ثم دعا الله تعالى أن يتوفاه على الإسلام ويلحقه بالصالحين.

وموسى –عليه السلام– لما سقى لبنتي شعيب وتولى إلى الظل تبرأ من حوله وقوته وافتقر إلى الله، وطلب ما عنده من خير، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير﴾ (القصص: 24)

فكانت الاستجابة فورية حيث قال رب البرية: ﴿فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (القصص:25) فأعطاه الله الزوجة، والمبيت، والعمل، وأمنه مما يخاف.

وأيضا لما دعا النبي ﷺ يوم بدر فقال كما مر بنا:" اللَّهمَّ أنجز لي ما وعدتني، اللَّهمَّ آتِ ما وعدتني، اللَّهمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض، فما زال يهتف بربّه مادًّا يديه مستقبلَ القبلة حتى سقط رداؤُه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ ردائَه فألقاه على منكبيه ثمَّ التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتُك ربَّك، فإنَّه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال:9)

الأدب الخامس عشر: أن يسأل الله تعالى باسمه الأعظم:

لا شك أن الدعاء باسم الله الأعظم له أكبر الأثر في قبول وإجابة الدعاء، فحريٌّ الاعتناء به أشد العناية، حتى يتكرّم ربنا بإعطائنا ما نرجوه في العاجل والآجل.

فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ". (صحيح سنن أبي داود:1324) (صحيح الترغيب والترهيب:1640)

وأخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك ﷺ دخلَ النَّبيُّ ﷺ المسجدَ ورجلٌ قد صلَّى وَهوَ وَهوَ يدعو وَهوَ يقولُ في دعائِهِ: اللَّهمَّ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ أنتَ المنَّانُ بديعُ السَّمواتِ والأرضِ ذا الجلالِ والإكْرامِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ:" أتَدرونَ بمَ دعا اللَّهَ؟ دعا اللَّهَ باسمِهِ الأعظمِ، الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ، وإذا سُئِلَ بِهِ أعطى ". (صحيح الترمذي: 3544)

وأخرج أبو داود أيضًا من حديث أنس بن مالك ﷺ أنَّهُ كانَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ جالسًا ورجلٌ يصلِّي ثمَّ دعا اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لَكَ الحمدُ لا إلَهَ إلَّا أنتَ المنَّانُ[1] بديعُ السَّمواتِ والأرضِ[2] يا ذا الجلالِ والإكرامِ[3] يا حيُّ[4] يا قيُّومُ[5] فقالَ النَّبيُّ ﷺ لقد دعا اللَّهَ باسمِهِ العظيمِ الَّذي إذا دعيَ بِهِ أجابَ وإذا سئلَ بِهِ أعطى ". (صحيح أبي داود: 1495) (الصحيحة:3411)

تنبيهات:

1- على الدَّاعي أن يختار الاسم المناسب حال الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:180)، فإذا سأل الله ودعا أن يغفر له ويرحمه فيقول: يا غفور يا رحيم؛ اغفر لي وارحمني، وإذا سأل الله تعالى الرزق؛ فإنه يقول: يا رزاق ارزقني، وإذا سأل

1- المنان: اسم من أسماء اللَّه تعالى الحسنى، أي كثير العطاء، من المنَّة بمعنى النعمة، أو النعمة الثقيلة، أي صاحب النعم المتتالية دون طلب عوض، وغرض.

2 – بديع السماوات والأرض: أي مبدعهما بمعنى مخترعهما ومنشئهما على غير مثال سابق.

3 – ذا الجلال والإكرام: ذو الجلال: صاحب العظمة والكمال. والإكرام: هو سعة الفضل، والجود بما ليس له حدود.

4 – الحي: اسم من أسمائه تعالى، وهو الذي له الحياة الدائمة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات.

5 – القيوم: اسم من أسمائه تعالى: وهو القائم بنفسه، فلم يحتج إلى أحد، والمقيم لغيره بالتدبير والإصلاح، وكل صفات الفعل ترجع إلى هذا الاسم الجليل.

الله العفو فيقول: اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عني، أو يقول: يا شافي اشفني، أو يا كريم أكرمني، وهكذا يتخير الاسم المناسب لمسألته وحاله.

2- على الدَّاعي أن يكثر من هذه الدعوة:" يا ذا الجَلالِ والإكرامِ ".

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ألِظُّوا بِيا ذا الجَلالِ والإكرامِ ". (الصحيحة:1536) (صحيح الترمذي:2797)

يعني: الْزموا هذه الدعوة، وأكثروا منها.

3- اسم الله الأعظم ذُكر في ثلاث سور، جاء ذكرها في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اسْمُ اللهِ الأعْظَمُ الذي إذا دُعِيَ بهِ أجابَ؛ في ثلاثِ سُوَرٍ من القُرآنِ: في (البَقرةِ[1]) و (آلِ عِمْرانَ[2])، و (طه[3])".

4- أخرَج أبو داودَ والتِّرمذيُّ وابنُ ماجَه عن أسماءَ بنتِ يَزيدَ-رضي الله عنها-قالت: قال رسول الله ﷺ:" اسمُ اللهِ الأعظمُ في هاتَينِ الآيتَينِ: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 163)، وفاتحةِ سورةِ آلِ عِمرانَ: ﴿الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة آل عمران: 1، 2)".

الأدب السادس عشر: ألا يعتدى في الدعاء:

قال تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف 55،56)

قيل: المراد أنه لا يحب المعتدين في الدعاء. كالذي يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء وغير ذلك.

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود في سننه أن عبد الله بن مغفل ﷺ سمع ابنه يقول:" اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال: يا بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" الدعاء ليس كله جائزًا، بل فيه عدوان محرم، والمشروع لا عدوان فيه، والعُدوان يَكون تارة في كَثرة الألفاظ، وتَارة في المعاني ". اهـ

وعلى هذا فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ربه ما لا يمكن حصوله، مثل أن يسأل الله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية

1- في قوله تعالى: {اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (البقرة:255)

2- في قوله تعالى: {اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (آل عمران:2)

3- في قوله تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ } (طه:111)

من الحاجة إلى الطعام والشراب أو يسأله أن يطلعه على غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدًا من غير زوجة ولا أَمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء. فكل سؤال يناقض حكمة الله أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه اللهُ ولا يحبه رسولُه ﷺ.

وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضا في الدعاء. قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء. وبعد: فالآية أعم من ذلك كله، وإن كان الاعتداء في الدعاء مرادًا بها فهو من جملة المراد، والله لا يحب المعتدين في كل شيء، دعاء كان أو غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

وعلى هذا فيكون قد أمر بدعائه وعبادته وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان، وهم الذين يدعون معه غيره. فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانًا. فإن أعظم العدوان هو الشرك، وهو وضع العبادة في غير موضعها. فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلًا في قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

ومن العدوان: أن يدعوه دعاء غير متضرع، بل دعاء مدلّ، كالمستغني بما عنده المدل على ربه به. وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته. فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد.

ومن الاعتداء: أن تعبده بما لا يشرعه، وتثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولا أذن فيه. فإن هذا الاعتداء في دعاء الثناء والعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب.

وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين:

أحدهما: محبوب للرب تبارك وتعالى مرضى له، وهو الدعاء تضرعا وخفية.

والثاني: مكروه له مبغوض مسخوط، وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه الله وندب إليه، وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير. وهو أنه لا يحب فاعله، ومن لم يحبه الله فأي خير يناله؟

وفي قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ عقب قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكم تَضَرُّعًا وخُفْيَةً﴾ دليل على أن من لم يدعه تضرعا وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم، فقسمت الآية الناس إلى قسمين: داع لله تضرعًا وخفية، ومعتد بترك ذلك. (التفسير القيم ص 252)

الأدب السابع عشر: خفض الصوت، والإسرار بالدعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ﴾ (البقرة:186)

وخفض الصوت، والإسرار بالدعاء انكسار بين يدي الله عز وجل وإظهار الفقر، والعجز، والحاجة، فالعبد يدعو من يسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، قالت عائشة– رضي الله عنها– في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ (الإسراء: 110) أي: بدعائك ".

فمن آداب الدعاء: المخافتة والإسرار وعدم الجهر به، قال تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف 55) وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: لَمَّا غَزَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ– أوْ قالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أشْرَفَ النَّاسُ علَى وادٍ، فَرَفَعُوا أصْوَاتَهُمْ بالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أكْبَرُ اللَّهُ أكْبَرُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: ارْبَعُوا[1] علَى أنْفُسِكُمْ؛ إنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا؛ إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو معكُمْ...".

– وفي رواية: قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا أشْرَفْنَا على واد هَلَّلْنَا وكبَّرْنَا وارتفعت أصواتنا، فقال النبي ﷺ:" يا أيها الناس، ارْبَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنَّه معكم، إنَّه سميع قريب".

قال الإمام أحمد–رحمه الله–:" ينبغي للعبد أن يُسر دعاءه، لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾ فقال: هذا في الدعاء، حيث كان يكرهون أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء ". (غذاء الألباب للسفاريني: 1/ 408)

وقد أثنى الله تعالى على نبيه زكريا –عليه السلام– فقال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا﴾ (مريم:2،3)

قال الحسن–رحمه الله–:" ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكم تَضَرُّعًا وخُفْيَةً﴾ (مريم: ٣) ". (الزهد لابن المبارك ص:٤٥) (تفسير الطبري:٥/٥١٤)

وقال ابن جُريج –رحمه الله–:" يكره رفعُ الصوت والنداءُ والصياحُ في الدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة ". (تفسير الطبري:٥/٥١٥)

1– اربعوا: أي: ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم.

هذا ولخفض الصوت، والإسرار بالدعاء فوائد عديدة، وأسرار بديعة، وقد أشار ابن القيم–رحمه الله–إلى شيء منها، فقال في تفسيره القيم ص 244–246: وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدها: أنه أعظم إيمانا، لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي. وليس كالذي قال: إن الله يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم. ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات، وإنما تخفض عندهم الأصوات، ويخف عندهم الكلام، بمقدار ما يسمعونه ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى. فإذا كان ربنا يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع؛ الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده. فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل. وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت، بل مع خفضه.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء. فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته.

وسادسها: أنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لاقترابه منه، وشدة حضوره يسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، وهذا من النكت السرية البديعة جدا.

وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يكلّ لسانه وتضعف بعض قواه. وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعًا صوته، فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات. فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل له هناك تشويش ولا غيره، وإذا جهر به تفطنت له الأرواح الشريرة الخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه ولا بد، ومانعته وعارضته، ولو لم يكن إلا أنَّ تعلقها به يفرق عليه همته، فيضعف أثر الدعاء لكفى. ومن له تجربة يعرف هذا، فإذا أسر الدعاء وأخفاه أمن هذه المفسدة.

وتاسعها: الأمن من شر الحاسدين: ذلك أن أعظم النعم على العبد نعمة الإقبال على الله، والتعبد له، والانقطاع إليه والتبتل إليه. ولكل نعمة حاسد على قدرها، دقت أو جلت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة. فأنْفُسُ الحاسدين المنقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وألا يقصد إظهارها له. وقد قال يعقوب–عليه السلام– ليوسف: ﴿لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله وأن لا يطلعوا عليه أحدًا ويتكتمون به غاية التكتم.

وعاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه، فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ:" أفضل الدعاء الحمد لله" فسمى" الحمد لله " دعاء، وهو ثناء محض. لأن الحمد يتضمن الحب والثناء. والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمى داعيًا من السائل الطالب من ربه حاجة ما. والمقصود أنَّ كلَّ واحدٍ من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه وقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ فأمر تعالى نبيَّه ﷺ أنْ يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج: أُمروا أنْ يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت والصياح وتأمَّل كيف قال في آية الذكر: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ﴾ الآية. وفي آية الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فذكر التضرع فيهما معًا وهو التذلل والتمسكن والانكسار وهو روح الذكر والدعاء. اهـ (انظر بدائع الفوائد 610/3) (انظر كذلك مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية:152/15)

الأدب الثامن عشر:

أن يجزم بالدعاء، ويعزم المسألة، ويوقن بالإجابة:

لا يتردد الإنسان في دعائه، ولكن يجزم بالدعاء ويعزم المسألة، فالدعاء عبادة يجب أن تؤدى بعزيمة وصدق، وليست على سبيل التجربة، وهذا أدعى للقبول والإجابة. وقد قال تعالى: ﴿وَإذا سَألَكَ عِبادِي عَنِّي فَإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعانِ﴾ (البقرة:186)

فالله تعالى وعد– ولا يخلف الله وعده– أنه من دعاه فإنه يستجيب له، ولهذا ينبغي أن يكون الدعاء بصدق ويقين. وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة... ". (صحيح الجامع:245)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يقولنَّ أحدُكم: اللَّهمَّ اغفر لي إن شئتَ، اللَّهمَّ ارحمني إن شئتَ، ولكن ليعزم المسألةَ، وليُعظِّم الرغبة، فإنَّ اللهَ تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا دَعا أحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، ولا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فأعْطِنِي؛ فإنَّه لا مُسْتَكْرِهَ له ".

وفي الصحيحين أيضًا بلفظ:" إذا دعا أحدكم فليعزم في الدعاء، ولا يَقُل: اللَّهمَّ إن شئتَ فأعطِني، فإنَّ الله لا مستكره له ".

وعند البخاري بلفظ:" إذا دَعَوْتُمُ اللَّهَ فاعْزِمُوا في الدُّعاءِ، ولا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ إنْ شِئْتَ فأعْطِنِي، فإنَّ اللَّهَ لا مُسْتَكْرِهَ له ".

وقوله ﷺ:" وليَعزِم المسألةَ "، أي ليجْزِم في طلبته، ويحقق رغبته، ويتيقَّن الإجابة، فإنَّه إذا فعل ذلك دلَّ على علمه بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة، وعلى أنَّه مفتقرٌ إلى ما يطلب مضطرٌّ إليه، وعلى أنَّه محتاجٌ إلى الله مفتقرٌ إليه، لا يستغني عن مغفرته ورحمته طرفةَ عين. (انظر تيسير العزيز الحميد ص:٦٥١)

ولهذا فإنَّ الواجبَ على المسلم إذا دعا الله أن يجتهدَ ويُلحَّ في الدعاء، ولا يَقُل:" إن شئتَ "، كالمستثني، بل يدعو دعاءَ البائس الفقير بإلحاحٍ وصِدق وجِدٍّ واجتهاد، مع الثقة الكاملة بالله والطمع فيما عنده، وحسن الظنِّ به سبحانه، وهو جلَّ وعلا يقول كما في الحديث القدسي:" أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني ". (أخرجه البخاري ومسلم)

قال ابن بطال–رحمه الله–:" ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريما ". (فتح الباري:144/11)

وقال العلماء: وقوله ﷺ:" لا يقولنَّ أحدُكم: اللَّهمَّ اغفر لي إن شئتَ "، فإنه يكره لأنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله منزه عن ذلك، وهو معنى قول النبي ﷺ في الحديث الآخر:" فإنه لا مستكره له". وقيل: سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه ". (شرح النووي على مسلم:17/3)

تنبيه:

لا يمنع الإنسان شعوره بالتقصير في حق الله، أن يسأله ويتضرع إليه. فقد قال سفيان بن عيينة–رحمه الله–:" لا يمنعنّ أحدَكم من الدعاءِ ما يعلمُ من نفسهِ، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ قال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (الحجر:37،38)

الأدب التاسع عشر: الإكثار من الدعاء في الرخاء:

فمِن آداب الدعاء المهمة ألا يقتصرَ المسلم على دعائه ربَّه في حال الشدَّة فقط، بل الواجب أن يدعوَ ربَّه في سرَّائه وضرَّائه، وشدَّته ورخائه، وصحته وسقمه، وفي أحواله كلِّها، وملازمةُ المسلم للدعاء حال الرخاءِ، ومواظبتُه عليه في حال السرَّاء سببٌ عظيمٌ لإجابة دعائه عند الشدائد والمصائب والكُرَب، وقد أخرج الترمذي، والحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فلْيُكثِر الدعاءَ في الرخاء ".

(صحيح الترغيب والترهيب:1628) (صحيح الجامع:٦٢٩٠) (الصحيحة:593)

وقال أبو الدرداء ﷺ:" ادع الله في يوم سرَّائك لعلَّه أن يستجيب لك في يوم ضرَّائك ".

(المصنف لعبد الرزاق:١١/١٨٠) (شعب الإيمان للبيهقي:٢/٥٢)

فالعبد الصالح من شأنه أن يلازم الدعاء في حالة الرخاء والشدة أما غير الصالح فإنه لا يلتجئ إلى الله إلا في وقت الشدة ثم ينساه في وقت الرخاء، وهذا شأن من غفل قلبه عن خالقه ومولاه.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾(سورة الزمر: ٨)، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾(سورة يونس: ١٢)، ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾(سورة الزمر: ٤٩)، ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ (سورة فصلت: ٥١).

والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ، وهي تدلُّ دلالة واضحة على ذمّ مَن لا يعرف الله إلاَّ في حال ضرَّائه وشدَّته، أمَّا في حال رخائه فإنَّه يكون في صدود وإعراض ولَهوٍ وغفلة وعدم إقبال على الله تبارك وتعالى.

ولهذا قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–:" تعرَّف إلى الله في الرَّخاء يعرفك في الشدَّة ". (رواه الإمام أحمد وهو في صحيح الجامع:٢٩٦١).

قال ابن رجب –رحمه الله– في شرح هذا الحديث:" المعنى أنَّ العبدَ إذا اتقى الله وحفظ حدودَه وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته، فقد تعرَّف بذلك إلى الله، وكان بينه وبينه معرفة، فعرفه ربُّه في الشدَّة، وعرف له عملَه في الرخاء، فنجَّاه من الشدائد بتلك المعرفة.

ثمَّ أورد ابن رجب عن الضحاك بن قيس أنَّه قال:" اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدَّة، إنَّ يونس عليه السلام كان يذكر اللهَ، فلمَّا وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (سورة الصافات:143) أي: لولا ما تقدم له من العمل الصالح في الرخاء: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (سورة الصافات:144) أي لصار بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة. وإنَّ فرعونَ كان طاغيًا ناسيًا لذكر الله، فلما أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس:90)، فقال الله تعالى: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس:91) ". (نور الاقتباس لابن رجب ص:٤٣)

ولهذا فإنَّ الواجبَ على المسلم أن يُقبلَ على الله في أحواله كلِّها في اليُسرِ والعُسرِ، والرخاءِ والشدّةِ، والغنى والفقرِ، والصحةِ والمرضِ، ومَن تعرَّف على الله في الرخاء عرفه الله في الشدَّة، فكان له معينًا وحافظًا ومؤيِّدًا وناصرًا. وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغارَ وانطبقت عليهم الصخرةُ يشهد لهذا، فإنَّ الله فرج عنهم بدعائهم بما كان منهم من الأعمال الصالحة الخالِصة في حال الرخاء من بر الوالدين، وترك الفجور، والأمانة الخفية. فكانت أعمالُ هؤلاء الثلاثة الصالحةُ سببًا لتفريج هَمِّهم وكشف كربتهم وإجابة دعوتهم وتحقيق أملهم

ورجائهم، فلمَّا تعرَّف هؤلاء إلى ربِّهم في حال رخائهم، تعرَّف إليهم ربُّهم سبحانه في حال شدَّتهم، فأمدَّهم بعونه، وأحاطهم بحفظه، وكلأهم برعايته وعنايته.

يقول ابن رجب–رحمه الله–:" فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عاملة الله باللطف والإعانة في حال شدته ". (جامع العلوم والحكم ص 179)

الأدب العشرون: الإلحاح على الله في الدعاء:

والإلحاح في الدعاء وتكراره يدل على صدق الرغبة والافتقار إلى الله تعالى، وشدة التعلق به، وكان هذا هو هدي النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام مسلم وأبو داود من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال:"كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا ".

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ الطويل وفيه:"... فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، ثم قال:" اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش ".

وأخرج البخاري من حديث أنس بن مالك ﷺ أنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَومَ الجُمُعَةِ مِن بَابٍ كانَ وِجَاهَ المِنْبَرِ، ورَسولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ المَوَاشِي، وانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، قالَ: فَرَفَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا...الحديث".

وعند مسلم بلفظ:" أنَّ رَجُلًا دَخَلَ المَسْجِدَ يَومَ جُمُعَةٍ، مِن بَابٍ كانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قالَ: يا رَسولَ اللهِ، هَلَكَتِ الأمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِثْنَا، قالَ: فَرَفَعَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا... ".

فالله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء بخلاف المخلوق الذي إذا أكثرت عليه وألححت وكررت طلبك ثقل عليه وتبرم منك، وهنت عليه، وصدق القائل حيث قال:

لا تسألن بني آدم حاجـة　　　وسَل الـذي أبوابـه لا تحـجب

الله يغضب إن تركت سؤاله　　　وبني آدم حين يُسأل يغضب

فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة، غير قاطع الرجاء، فإنه يُستجاب له. فعليك أخي الحبيب بالمداومة على الدعاء مهما تأخرت الإجابة، فليس للعبد ملجأ ولا مفر إلا إلى مولاه عز وجل.

قال أبو الدرداء ﷺ:"من يكثر قرع الباب؛ يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء؛ يوشك أن يستجاب

له". (شعب الإيمان)

والله يحب الملحين في الدعاء.

قال ابن القيم–رحمه الله–:" إنّ اللهَ لَا يَتَبَرَّمُ بِإِلْحَاحِ الْمُلِحِّينَ، بَلْ يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ، وَيُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَيَغْضَبُ إِذَا لَمْ يُسْأَلْ ". (الجواب الكافي: ص 230)

وقال أيضا–رحمه الله–:" وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالا، وهو يحب الملحين في الدعاء، وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه ". (حادي الأرواح ص: 91)

وقال الأوزاعي –رحمه الله–:" كان يُقال: أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع ". (رواه البيهقي في شعب الإيمان: ٣٨/٢)

وعليك بالمداومة على الدعاء مهما تأخرت الإجابة، فليس للعبد ملجأ ولا مفرّ إلا إلى مولاه ﷻ

قال السري السقطي–رحمه الله–:" كن مثل الصبي إذا اشتهى على أبويه شهوة فلم يمكناه قعد يبكي لهما، فكن أنت مثله، فإذا سألت ربّك ولم يعطك فاقعد فابك له ". (شعب الإيمان للبيهقي: 246/3)

تنبيه:

الحديث الذي أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يدعو ثلاثًا، ويستغفر ثلاثًا". (حديث ضعيف)

وكذلك الحديث الذي أخرجه الطبراني وابن عدي في الكامل من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" إن الله يحب الملحين في الدعاء ". (حديث موضوع) (انظر السلسلة الضعيفة:96/2) (الإرواء:143/3)

الأدب الحادي والعشرون:

الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات:

فهذا من مقتضيات الأخوة، ومن أسباب إجابة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (محمد: 19). وذكر عن نوح –عليه السلام– قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (نوح: 28). وقال ﷺ:" من استغفر للمؤمنين والمؤمنات، كتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة ". (صحيح الجامع:6026)

ويحسن أن يُخص بالدعاء الوالدان، والعلماء، والصالحون، والعبَّاد، ومن في صلاحهم صلاح لأمر المسلمين كأولياء الأمور وغيرهم... ويحسن به أيضًا أن يدعو للمستضعفين والمظلومين من المسلمين، وأن يدعو على

الظالمين الذين في هلاكهم نصر للإسلام والمسلمين، وراحة للمستضعفين والمظلومين.

الأدب الثاني والعشرون:

إذا دعا لغيره فليبدأ بالدعاء لنفسه أولًا:

وهكذا كان يفعل الأنبياء والرسل–عليهم السلام–:

قال تعالى عن إبراهيم–عليه السلام–: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَاب﴾ (إبراهيم: 40،41)

وحكى القرآن قول موسى–عليه السلام–: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾ (الأعراف: 151)

وحكى القران قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ (الحشر: 10)

وهكذا كان النبي ﷺ يفعل.

فقد أخرج أبو داود والترمذي "باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه" عن أبيّ بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه. (صحيح الجامع:4723) (صحيح الترمذي:2696).

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج قال: قلتُ لعطاء: أَستَغفرُ للمؤمنين والمؤمنات؟ قال: نعم، قد أُمر النبيُّ ﷺ بذلك، فإنَّ ذلك الواجبَ على الناس، قال الله لنبيّه ﷺ: ﴿اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قلتُ: أفتدع ذلك في المكتوبة أبدًا؟ قال: لا، قلت: فبِمَن تبدأ، بنفسك أم بالمؤمنين؟ قال: بل بنفسي، كما قال الله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ".

تنبيه:

والبدء بالنفس في الدعاء ليس بشرط لمن أراد أن يدعو لغيره، فإنه يجوز الدعاء للغير فقط، كما هو وارد في كثير من الأدعية، وقد يقال: إذا أراد الدعاء لنفسه ولغيره فليبدأ بنفسه ثم يُثَنِّي بغيره، وإذا أراد الدعاء لغيره فَحَسْب فلا يلزم أن يبدأ بنفسه، كما مر في دعاء النبي ﷺ لعبيد بن عامر ﷺ، حيث دعا لعبيد دون أن يدعو لنفسه. ومما يدل على ذلك أيضًا ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قسم النبي ﷺ قسمًا، فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه، ثم قال:" يرحم الله موسى، قد أُذي بأكثر من هذا فصبر ". وكذلك دعائه لأنس، ولابن عباس– وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين.

الأدب الثالث والعشرون: إذا سأل الله فليُعظِّم المسألة:

فالعبد يسأل ربه كل ما يتمناه، فإنه يسأل الكريم سبحانه وتعالى الذي لا يتعاظمه شيء.

أخرج ابن حبان والطبراني في الأوسط عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:

" إذا تمنَّى أحدُكم فليُكْثِرْ؛ فإنَّما يسألُ ربَّهُ ". (صحيح الجامع: 437) (الصحيحة:1266)

– وفي رواية:" إذا سَأَلَ أحدُكم فلْيُكْثِرْ، فإنَّما يَسألُ رَبَّهُ ". (صحيح الجامع: 591)

قال المناوي–رحمه الله– في فيض القدير:397/1": وقوله ﷺ: "إذا تمنى أحدكم"؛ على ربه؛ من خير الدارين؛ "فليكثر"؛ الأماني؛ "فإنما يسأل ربه"؛ الذي رباه؛ وأنعم عليه؛ وأحسن إليه؛ فيعظم الرغبة؛ ويوسع المسألة؛ ويسأله الكثير؛ والقليل؛ حتى شسع النعل؛ فإنه إن لم ييسره؛ لا يتيسر؛ فينبغي للسائل إكثار المسألة؛ وألا يختصر؛ ولا يقتصر؛ فإن خزائن الجُود سحَّاء الليل والنهار؛ أي: دائمة؛ لا ينقصها شيء؛ ولا يفنيها عطاء؛ وإن جل وعظم؛ لأن عطاءه بين الكاف والنون ". اهـ

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاثَ: إما أن يُعجِّلَ له دعوتَه، وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ، وإما أن يَصرِف عنه من السُّوءِ مثلَها. قالوا: إذًا نُكثِرُ. قال:" اللهُ أكثرُ ". صحيح الترغيب والترهيب: 1633)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شيءٌ أَعْطَاهُ ".

وأخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إذا دعا أحَدُكم فلْيُعظِمِ الرَّغبةَ، فإنَّه لا يتعاظَمُ على اللهِ شيءٌ ". (صحيح ابن حبان: 896)

قال بعض السلف:" متى أطلق الله لسانك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك ".

فالنَّبيُّ ﷺ في الأحاديث السابقة يُعَلِّمُنا آدابَ الدُّعاءِ وأنَّ الله لا يُعجِزُه شَيءٌ، وأنَّه يَدعو كَريمًا. فإذا طلَبَ من اللهِ شَيئًا في دُعائِه، فلْيُكثِرْ، ولْيُعظِمْ مَسألَتَه، "فإنَّما يَسألُ ربَّه"، وهو سُبحانَه مالِكُ المُلْكِ، وخَزائِنُه لا تَنفَدُ، ولا يُعجِزُه شَيءٌ، وهذا من تَعظيمِ اللهِ وتَقديرِه حَقَّ قَدْرِه، كما فيه دَعوةٌ لعُلُوِّ هِمَّةِ العَبدِ؛ لِيَطلُبَ معاليَ الأُمورِ من اللهِ في دُعائِه. وانظر إلى نبي الله سليمان–عليه السلام– لما أقسم أن يطوف على نسائه جميعًا لتلد كل واحدة منهن مجاهدًا يجاهد في سبيل الله، ولم يستثن –أي لم يقل: إن شاء الله– وعندما أدرك ما واقع فيه لم يكتف بأن يسأل الله تعالى المغفرة فحسب، لكنه لكبر نفسه، وعلو همته، وعلمه بسعة فضل ربه سأله أن يهب له ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: 35) فاستجاب الله لدعائه، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وسخر له الشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، ثم قال: ﴿هَـذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(39) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص:39،40) (تفسير ابن كثير:539/4)

الأدب الرابع والعشرون:

الدعاء بالأدعية المأثورة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة:

فيستحب لمن أراد الدعاء أن يدعو بالأدعية المأثورة في القرآن والسنة إن أمكن. فمثلًا إذا أراد أن يثبته الله تعالى على الإيمان فليقل: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران:8)

أو يدعو بدعاء النبي ﷺ:" يا مُقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك ".

(رواه الترمذي وابن ماجه عن أم سلمة –رضيَ اللَّهُ عَنها–) (صحيح الجامع:4801)

وإذا دعا بالقبول فليقل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة:127)

وهكذا في سائر ما يطلبه ويدعو به، وإن لم يحفظ شيئًا من أدعية القرآن أو السنة، فليدع بما يخطر على قلبه، ما لم يكن في دعائه إثم أو قطيعة رحم.

الأدب الخامس والعشرون: أن يتخير جوامع الدعاء:

فمن الناس من إذا دعا الله فإنه يطيل الدعاء ويُفصل فيه بما لا فائدة منه ولا نفع، وخير الهدى هدى النبي ﷺ فقد كان يدعو بجوامع الدعاء؛ وهو الدعاء المختصر الذي يجمع خيري الدنيا والآخرة، ويترك ما سوى ذلك.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود عَن عائشةَ –رضيَ اللَّهُ عَنها– قالَت: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يستحِبُّ الجوامعَ منَ الدُّعاءِ ويدَعُ ما سِوى ذلِكَ ". (صحيح أبي داود: 1482)

قال الخطابي في كتابه " شأن الدعاء ص 15":" وليتخير لدعائه، والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها، وأجمعها للمعاني، لأنه مناجاة العبد لسيده الذي ليس له مثيل ولا نظير". اهـ

ومن جوامع الدعاء مثلًا الحديث الذي أخرجه ابن ماجه عن عائشة–رضيَ اللَّهُ عَنها–أن النبي ﷺ علمها هذا الدعاء:" اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ مِنَ الخيرِ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِهِ، ما عَلِمْتُ منهُ وما لم أعلَمْ، وأعوذُ بِكَ منَ الشَّرِّ كلِّهِ عاجلِهِ وآجلِهِ، ما عَلِمْتُ منهُ وما لم أعلَمْ، اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ من خيرِ ما سألَكَ عبدُكَ ونبيُّكَ، وأعوذُ بِكَ من شرِّ ما عاذَ بِهِ عبدُكَ ونبيُّكَ، اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ وما قرَّبَ إليها من قَولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بِكَ منَ النَّارِ وما قرَّبَ إليها من قولٍ أو عملٍ، وأسألُكَ أن تجعلَ كلَّ قَضاءٍ قضيتَهُ لي خيرًا ". (صحيح ابن ماجه: 3116) (صحيح الجامع:1276)

وهناك من جوامع الدعاء في كتب الصحاح، والسنن، والمسانيد، وهناك رسالة للمؤلف بعنوان: فضل وآداب الدعاء، ضمن سلسلة:" الكتاب الجامع للفضائل"، ففيها المزيد من جوامع الدعاء؛ فلتراجع فضلًا لا أمرًا.

الأدب السادس والعشرون:

أن يتخير لدعائه أوقات وأحوال الإجابة:

وهناك أوقات وأحوال شريفة يُستجاب فيها الدعاء، وعلى الدَّاعي أن يتحرى هذه الأوقات، ويكثر فيها الدعاء؛ كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل، وكوقت النزول الإلهي، وفي السجود، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وعند نزول المطر، وعند التقاء الجيوش، وآخر ساعة من نهار الجمعة، ودعوة المسافر والمظلوم، ودعوة الصائم، ودعوة الوالد.

الأدب السابع والعشرون: الأخذ بأسباب الإجابة:

كالتوسل بأسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف:180). أو يتوسل المرء بإيمانه كما قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾ (آل عمران:193) أو التوسل بدعاء رجل صالح يدعو للإنسان، ونحو ذلك.

أو أن يقدم بين يدي دعائه عملًا صالحًا: كأن يتصدق، أو يحسن إلى مسكين، أو يصلي ركعتين، أو يصوم، أو غير ذلك، ليكون هذا العمل وسيلة إلى الإجابة. ويدل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، فإن النبي ﷺ حكى عنهم أن كل واحد منهم توسل بأعظم أعماله التي عملها لله عز وجل فاستجاب الله دعاءهم، وارتفعت عنهم الصخرة وخرجوا يمشون.

- وكذلك من أسباب استجابة الدعاء: أكل الحلال.

ولَمَّا سئل سعدُ بن أبي وقاص ﷺ تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: " ما رفعتُ إلى فمي لُقمةً إلاَّ وأنا عالِمٌ من أين مجيئُها ومن أين خرجت ". (ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم: ١/٢٧٥)

وقال وهبُ بن منبِّه–رحمه الله–:" مَن سرَّه أن يستجيب الله دعوتَه فليُطيب طُعْمَتَه ".

الأدب الثامن والعشرون: ألا يشغله الدعاء عن ترك واجب:

فالداعي لا ينشغل بالدعاء عن أمر واجب مثل فريضة حاضرة، أو يترك القيام بحق والد بحجة الدعاء. ولعل في قصة جريج العابد ما يشير إلى ذلك فعندما ترك إجابة نداء أمه وأقبل على صلاته فدعت عليه فابتلاه الله.

قال النووي–رحمه الله–:" قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها لأنه كان في صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام...".

(صحيح مسلم بشرح النووي:82/16).

الأدب التاسع والعشرون: عدم استعجال إجابة الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ﴾ (البقرة:186)

وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:60)

فمن دعا الله تعالى فلا يَعْجل ويقول: دعوتُ الله فلم يستجب لي. وذلك لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" يُستَجَابُ لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: دعوتُ ربي فلم يستَجِبْ لي ".

وفي رواية عند مسلم:" لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يستجيب لي، فَيَسْتَحْسِر[1] عند ذلك ويَدَع الدعاء ".

قال ابن بطال–رحمه الله– وقوله:" دعوت فلم يستجب لي " والمعنى أنه يسأم فيترك الدعاء، فيكون كالمانّ بدعائه على الله، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق الإجابة، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء ". (فتح الباري: 140/11).

وقال ابن حجر–رحمه الله–كما في" فتح الباري":" معنى "يستحسر": ينقطع. وفي الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار. اهـ. (فتح الباري:١١/١٤١)

1– فيستحسر: أي يمل ويعيى فينقطع ويترك الدعاء.

وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يزال العبدُ بخير ما لَم يستعجل، قالوا: يا رسول الله كيف يستعجل؟ قال:" يقول: قد دعوتُ ربِّي فلم يستجب لي ". (صحيح الترغيب والترهيب:1650)

وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من رجُلٍ يَدعُو بِدعاءٍ إلَّا اسْتُجِيبَ لهُ، فإمّا أنْ يُعَجَّلَ لهُ في الدنيا، وإمَا أنْ يُدَّخَرَ لهُ في الآخِرَةِ، ما لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أوْ قطيعةِ رَحِمٍ، أو يَستعجِلُ، يقولُ: دعوْتُ ربِّي فمَا اسْتجابَ لِي ". (صحيح الجامع: 5714) (صحيح الترمذي: 3604)

وأخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم ينصب وجهه إلى الله، يسأله مسألة إلا أعطاه إياها، إما عجلها له في الدنيا، وإما ذخرها له في الآخرة ما لم يعجل"، قالوا: يا رسول الله، وما عَجَلَتُه؟ قال:" يقول: دعوتُ دعوت، ولا أراه يستجاب لي". (صحيح الأدب المفرد:548).

وقال ابن القيم –رحمه الله– كما في" الجواب الكافي ص19": ومن الآفات التي تمنع ترتّب أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فَيَسْتَحْسِر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله. فالمؤمن الحق ربما يبالغ في الدعاء ويُكثر منه، لكن لا يرى له أثرًا، ومع هذا لا يتغير أمله ورجاؤه ويلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، والمطلوب هو الصبر والتسليم في جميع الأحوال، فربما لم يستجب الله له لينظر كيف صبره، أو أنه يريد منه أن يكثر التضرع واللجوء إليه ومناجاته، فأما من يريد تعجيل الإجابة ويتذمر إن لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقًا على ربه، وربما يترك الدعاء إذا تأخرت الإجابة فيكون كالمنَّان على ربه. فها هو يعقوب عليه السلام: بقي سنين في البلاء ورجاؤه لا يتغير، فَقَد يوسف، وبعد سنين يفقد بنيامين، ومع ذلك لم يتغير أمله ورجاؤه في الله، فقال كما جاء في القرآن: ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: 83).اهـ فينبغي على الداعي إذا لم يتحقق له ما أراد، أن يعلم أن الله تعالى سيعطيه ما سأل ولو بعد حين، أو لا يعطيه ما سأل لكن يصرف عنه من السوء بقدر ما سأل، أو يدخرها له في الآخرة.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد والترمذي من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما من أحدٍ يدعو بدعاءٍ إلَّا آتاهُ اللَّهُ ما سألَ، أو كفَّ عنهُ منَ السُّوءِ مثلهُ، ما لم يدعُ بإثمٍ، أو قطيعةِ رحمٍ ". (صحيح الترغيب والترهيب:1631)

وأخرج الترمذي من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما على الأرض مسلمٌ يدعو اللهَ تعالى بدعوةٍ إلا آتاه اللهُ إيَّاها، أو صَرَف عنه من السوءِ مثلَها، ما لم يدعُ بأثمٍ، أو قطيعةِ رَحِمٍ، ما لم

يعجل، يقول: قد دعوتُ ودعوت، فلم يُستجبْ لي ". ". (صحيح الجامع:5637)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر [1]!! قال:" الله أكثر[2] ".

زاد الحاكم في روايته:" أو يدخر له من الأجر مثلها ".

وقال ابن علان–رحمه الله–:" وقولهم:" إذًا نكثر" أي: إذا كانت الدعوة بما عدا ما ذكر مجابة، نكثر من سؤال خيري الدارين لتحصيلهما بالوعد الذي لا يخلف ". (دليل الفالحين: 7/ 304)

قال ابن حجر–رحمه الله– كما في" فتح الباري:95/11":" كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه " ثم ذكر هذين الحديثين ".

وقال ابن الجوزي–رحمه الله–:" اعلم أن دعاء المؤمن لا يُردّ، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوّض بما هو أولى له عاجلًا أو آجلًا، فينبغي للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض". اهـ (فتح الباري: 141/11)

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول:" إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه ". (فتاوى ابن تيمية: 193/8)

قال ابن القيم –رحمه الله– في كتابه الجواب الكافي ص 27":" وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفيك ما عوّدتني الطلبا

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة. اهـ

1– إذن نكثر: أي: من الدعاء. وقال القاري:" (إِذًا نُكْثِرُ) أَيْ: مِنَ الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ فَوَائِدُهُ " (مرقاة المفاتيح :4/ 1538)

2– الله أكثر: أي: أكثر إحسانًا مما تسألون.

الأدب الثلاثون:

أن يسأل الله تعالى من خيري الدنيا والآخرة:

فمن الناس من يسأل الله تعالى الدنيا فقط، وهذا الصنف ذمه الله تعالى في كتابه الكريم، فقال تعالى:

﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ (البقرة: 200)

وأثنى الله تعالى على من يسأله من خيري الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة: 201،202)

فالعبد يسأل ربه كل شيء من أمور الدنيا والآخرة صغيرها وكبيرها، فإن أي شيء إن لم ييسره الله لم يتيسر.

ومن أجمع الأدعية التي وردت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة البقرة:201)، فهذا الدعاء لم يترك شيئا من خيري الدنيا والآخرة إلا تضمنه.

وخزائنُ الله لا تنفدُ ولا تنقصُ بالعطاء، فعلى العبد أن يكثر من سؤاله وينزل جميع الحوائجِ به، وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺعن النبي ﷺ قال:" يدُ الله ملأى لا تغيضُها نفقة، سَحَّاءُ الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربُّكم منذ خلق السموات والأرض، فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يمينه ".

الأدب الحادي والثلاثون: أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة:

وهذا الأمر يغفل عنه كثير من الناس، فتراهم لا يلجأون إلى الله ولا يسألونه إلا إذا نزلت بهم عظائمُ الأمور، وشدائدها. أما ما عدا ذلك فلا يسألونه، لظنهم أنه أمر يسير لا داعي لسؤال الله من أجله. وهذا خطأ، فاللائق بالمسلم أن يسأل ربه كل صغيرة، أو كبيرة.

وقد جاء في سنن الترمذي بسند ضعيف أن النبي ﷺ قال:" ليسأل أحدكم ربه حاجته، حتى يسأله الملح. وحتى يسأله شسْعَ نعله[1] إذا انقطع ". (السلسلة الضعيفة: 1362)

– وفي رواية قال ﷺ:" سَلُوا اللَّهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشِّسْعَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ ".

1– الشسع: أحد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الأصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل. (انظر لسان العرب، 180/8). ومعنى" وحتى يسأله شسْعَ نعله إذا انقطع": أي حتى يسأله إصلاح النعل إذا انقطع.

(أخرجه الترمذي وابن السني في عمل اليوم والليلة "باب ما يقول إذا انقطع شسعه") (وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة:1362)، ولكن الحديث صحيح من قول عائشة –رضي الله عنها–موقوفًا عليها، انظر مسند أبي يعلى (4560)، وعمل اليوم والليلة (357)

وإن كانت الأحاديث في هذا الباب ضعيفة إلا أن المعنى صحيح، ويشهد لها كثير من الأدلة الشرعية منها قول النبي ﷺ:" إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ".(رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ وقد مر بنا) (صحيح الترمذي: 2686)

وقوله:" حتى الشسع ": إشارة أن ما فوقه أولى وأولى.

فإنه سؤال الله في كل صغيرة وكبيرة تدل على شدة تعلق العبد بربه وافتقاره إليه في كل الأمور.

وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى:" يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ... يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ". (رواه مسلم)

ويقول ابن رجب–رحمه الله– في "جامع العلوم والحكم:225/1":

" وفي الحديث دليل على أن الله يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة، وفي الأثر: (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع)، وكان بعض السلف يسأل الله في صلاته كل حوائجه، حتى ملح عجينه وعلف شاته، وفي الإسرائيليات: أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب؛ إنه ليعرض لي الحاجة من الدنيا، فأستحي أن أسألك. قال: سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك، فإنَّ كلَّ ما يحتاج العبد إليه إذا سأله من الله، فقد أظهر حاجته فيه، وافتقاره إلى الله، وذاك يحبه الله ". اهـ

الأدب الثاني والثلاثون: أن يحسن الظن بربه عند الدعاء:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقولُ اللَّهُ تَعالَى:" أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي..".

وفي رواية عند الإمام أحمد وابن حبان:" يقول اللهُ تعالى:" أنا عند ظنِّ عبدِي بي إنْ ظنَّ خيرًا فلهُ، وإنْ ظنَّ شرًّا فلهُ ". (صحيح الجامع: 4315)

وفي رواية:" يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ:" أنا عِندَ ظَنِّ عَبْدي بي فليظُنَّ بي ما شاء ".

يَعني: إن ظَنَّ باللهِ خَيرًا فَلَه، وإن ظَنَّ بِه سِوَى ذلك فَلَه، فاللهُ سُبحانَه عِندَ مُنتهَى أمَلِ العَبدِ به، وعلى قَدرِ ظَنّ واعتِقادِ العَبدِ فيه، ويَكونُ عَطاءُ اللهِ وجَزاؤُه من جِنسِ ما يَظُنُّه العَبدُ فيه ثَوابًا أو عِقابًا، خَيرًا أو شَرًّا، فمَن ظنَّ باللهِ أمرًا عَظيمًا وَجَدَه وأعْطاه اللهُ إيَّاهُ، واللهُ لا يَتعاظَمُه شَيءٌ.

فمن ظن بربه خيرًا أفاض الله عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضيلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ أعطياته.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ". (صحيح الجامع:245).

وحق على العبد أن يظن بربه خيرًا، وأن ينتظر منه فضلًا، وأن يرجو من مولاه لطفًا، فإن من أمره في كلمة "كُن"، جديرٌ أن يوثق بموعوده، وأن يتعلق بعهوده، فلا يجلب النفع إلا هو، ولا يدفع الضرّ إلا هو، وله في كل نفس لطفٌ، وفي كل حركة حكمةٌ، وفي كل ساعة فرجٌ، جعل بعد الليل صبحًا، وبعد القحط غيثًا، يُعطي ليُشكر، ويَبتلي ليعلم من صبر، يمنح النعماء ليسمع الثناء، يُسلّط البلاء ليُرفع إليه الدعاء، فحريٌّ بالعبد أن يقوي معه الاتصال، ويمد إليه الحبال، ويكثر السؤال، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ﴾(النساء:32) وقال تعالى: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:55) (لا تحزن ص 345 بتصرف)

يقول ابن القيم–رحمه الله–:" وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة السائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه وشقوته ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه. ويكون منعه منها، لكرامته عليه ومحبته له فيمنعه حماية وصيانةً وحفظًا لا بخلًا، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته ويعامله بلطفه فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضي حوائج غيره فيسيء ظنه بربّه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به، والمعصوم من عصمه الله ". اهـ (مدارج السالكين:79/1)

الأدب الثالث والثلاثون: الإكثار من الدعاء:

فالمراد بالإكثار من الدعاء أمران: الإلحاح فيه، وتنوع الدعاء، فيسأل المسلم ربه كل شيء من خيري الدنيا والآخرة، ويلح على الله في هذا السؤال ويكرره، لأن ذلك من تمام عبادته وكمال التوكل عليه وحسن الظن به والرجاء فيه.

والإنسان الذي يعلم أن الدعاء عبادة كما أخبر بهذا النبي ﷺ فقال:" الدُّعاءُ هو العبادةُ[1]" ثمَّ قرأ ﴿وَقال رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾ (غافر:60) ". (أخرجه الإمام أحمد وأبو داود عن النعمان بن بشير ﷺ) (صحيح الجامع:3407) (صحيح الترغيب والترهيب:1627)

فإنه يتقرب إلى الله تعالى بهذه العبادة، ويكثر منها، لأنها من أكرم وأحب العبادات إلى الله تعالى، فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وابن ماجه والترمذي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال:" ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء ". (صحيح الأدب المفرد:549) (صحيح الجامع:5392) (صحيح الترغيب والترهيب:1629)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال:" ما من مسلم يدعو بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذن نكثر!! قال: الله أكثر ".

وأخرج ابن حبان والطبراني في الأوسط عن عائشة– رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ:" إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُم فَلْيُكثِر، فَإِنَّمَا يَسأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ". (السلسلة الصحيحة: 1266) (صحيح الجامع:437)

وعلى العبد أن يكثر من سؤال الله العافية، وقد أمر النبي ﷺ بذلك.

فقد أخرج الطبراني والحاكم أن النبي ﷺ قال لعمه العباس ﷺ:" يا عم، أكثِرِ الدعاء بالعافية ". (صحيح الجامع:1198)

وأخرجه الإمام أحمد والترمذي عن العباس بن عبدالمطلب ﷺ قال: قلتُ يا رسولَ اللَّهِ! علِّمني شيئًا أسألُهُ اللَّهَ، قال:" سلِ اللَّهَ العافِيةَ"، فمَكثتُ أيَّامًا ثمَّ جئتُ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! علِّمني شيئًا أسألُهُ اللَّهَ، فقالَ لي:" يا عبَّاسُ يا عمَّ رسولِ اللَّهِ، سلِ اللَّهَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ ". (صحيح الترمذي: 3514)

1– قال الخطابي رحمه الله وقوله ﷺ:" الدعاء هو العبادة": معنى أنه معظم العبادة، أو أفضل العبادة، كقولهم: الناس بنو تميم، والمال: الأبل وكقول النبي ﷺ:

" الحج عرفة ".

الأدب الرابع والثلاثون:

أن يُعظم الرغبة في الدعاء، فيدعو الله بمعالي الأمور:

فقد أخرج الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمْ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ ".

قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– في "فتح الباري":" وَمَعْنَى قَوْله:" لِيُعَظِّم الرَّغْبَة" أَيْ يُبَالِغ فِي ذَلِكَ بِتَكْرَارِ الدُّعَاء وَالْإِلْحَاح فِيهِ، وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد بِهِ الْأَمْر بِطَلَبِ الشَّيْء الْعَظِيم الْكَثِير، وَيُؤَيِّدهُ مَا فِي آخِر هَذِهِ الرِّوَايَة:" فَإِنَّ اللَّه لَا يَتَعَاظَمهُ شَيْء". اهـ

وقال أبو سعيدٍ الخدريُّ ﷺ:" إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ، فَارْفَعُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يَنْفَدُهُ شَيْءٌ ". (انظر جامع العلوم والحكم:48/2).

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" مَن آمَنَ باللَّهِ وبِرَسولِهِ، وأَقامَ الصَّلاةَ، وصامَ رَمَضانَ؛ كانَ حَقًّا علَى اللَّهِ أنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جاهَدَ في سَبيلِ اللَّهِ أوْ جَلَسَ في أرْضِهِ الَّتي وُلِدَ فيها، فقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قالَ: إنَّ في الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أعَدَّها اللَّهُ لِلْمُجاهِدِينَ في سَبيلِ اللَّهِ، ما بيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كما بيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ وأَعْلَى الجَنَّةِ –أُراهُ– فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ ".

وأخرج أبو يعلى وابن حبان والحاكم عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال:" نزلَ رسولُ اللهِ ﷺ بأعرابيٍّ فأكرمَهُ فقال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: تعهَّدْنا ائتِنا. فأتاهُ الأعرابيُّ، فقال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: ما حاجتُكَ؟ قال: ناقةٌ برحلِها ويحلبُ لبنَها أهلي. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: عجزَ هذا أنْ يكونَ كعجوزِ بَني إسرائيلَ، فقال لهُ أصحابُهُ: ما عجوزُ بني إسرائيلَ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: إنَّ مُوسى حينَ أرادَ أنْ يسيرَ ببني إسرائيلَ ضلَّ عنهُ الطريقُ، فقال لبني إسرائيلَ: ما هذا؟ قال: فقال لهُ علماءُ بَني إسرائيلَ: إنَّ يوسفَ عليهِ السلامُ حينَ حضرَهُ الموتُ أخذَ علينا موثقًا مِنَ اللهِ ألا نخرجَ مِنْ مِصرَ حتَّى تُنقلَ عِظامُهُ معَنا. فقال مُوسى: أيُّكمْ يَدري أينَ قبرُ يوسفَ؟ فقال علماءُ بني إسرائيلَ: ما يعلمُ أحدٌ مكانَ قبرِهِ إلا عجوزٌ لبني إسرائيلَ. فأرسلَ إليها مُوسى فقال: دُلِّينا على قبرِ يوسفَ؟ قالتْ: لا واللهِ حتى تُعطيَني حُكمي. فقال لها: ما حكمُكِ؟ قالتْ: حُكمي أنْ أكونَ معَكَ في الجنةِ. فكأنَّهُ كرِهَ ذلكَ قال: فقيلَ لهُ: أعطِها حكمَها. فأعطاها حكمَها، فانطلقَتْ بِهِمْ إلى بحيرةٍ مستنقعةِ ماءٍ، فقالتْ لهُمُ: أنضبوا هذا الماءَ. فلمَّا أنضَبوا، قالتْ لهمُ: احفِروا. فحفروا فاستخرَجوا عظامَ يوسفَ، فلمَّا

أنْ أقلُّوهُ مِنَ الأرضِ إذا الطريقُ مثلُ ضوءِ النهارِ ". (الصحيحة:313)

الأدب الخامس والثلاثون:

الإكثار من النوافل، وهذا أرجى لإجابة الدعوة:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قالَ اللَّهَ تعالى:" مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ...".

الأدب السادس والثلاثون:

أن يقول لمن أسدى إليه معروفًا: جزاك الله خيرًا:

فقد أخرج أبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " من صنع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإن لم تجدوا ما تكافِئوه فادعوا له حتى ترَوا أنكم قد كافأتُموه ". (إرواء الغليل: 1617) (الصحيحة:254)

- وأفضل ما يكافأ به هو أن يقال له: جزاك الله خيرًا.

فقد أخرج الترمذي والنسائي في السنن الكبرى من حديث أسامة بن زيد–رضي الله عنهما–قال: قال رسول الله ﷺ:" من صُنِعَ إليهِ معروفٌ فقالَ لفاعلهِ جزاكَ اللَّهُ خيرًا فقد أبلغَ في الثَّناءِ " (صحيح الجامع:6368)

– وفي رواية:" إذا قال الرجلُ لِأَخِيهِ: جَزَاكَ اللهُ خيرًا، فقد أَبْلَغَ في الثَّناءِ ".

(رواه الخطيب البغدادي عن عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– وهو في صحيح الجامع: 708) وقوله ﷺ:" فقد أبلَغَ في الثَّناءِ"، أي: بالَغَ في أداءِ شُكرِه؛ وذلك أنَّه اعتَرَفَ بالتَّقصيرِ، وأنَّه ممَّن عَجَزَ عن جَزائِه وثَنائِه، ففوَّضَ جَزاءَه إلى اللهِ؛ لِيَجزِيَه الجَزاءَ الأوفى. وقيل: هذا فيمَن لم يَجِدْ شيئًا لإثابتِه به، وقيل: بل مُطلقًا.

الأدب السابع والثلاثون: التأمين على الدعاء من المستمع:

فعندما يدعو الداعي، ويؤمن المستمع ويقول: آمين: أي: يا رب استجب، فالتأمين هو طلب الإجابة من الله، وكأنه تأكيدًا لما تقدم من الدعاء وتكرارًا له، وزيادة في الإلحاح، ويدل على هذا قصة دعاء موسى – عليه السلام– على فرعون وقومه، وتأمين هارون–عليه السلام– على دعاء أخيه، فقال تعالى:

﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ (يونس: 89). أي للداعي (موسى) والذي يؤمنَّ على الدعاء (هارون).

(انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: 411/2).

الخاتمة

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

الفهرس

تمهيد 2
نبض الرسالة 3
مقدمة: 5
معنى الدعاء: 5
الدعاء في الاصطلاح: 5
آداب الدعـــاء: 6
الأدب الأول: الإخلاص في الدعاء: 7
الأدب الثاني: التوبة والرجوع إلى الله تعالى، ورد المظالم: 8
الأدب الثالث: تحري الحلال، وتجنب الحرام: 9
الأدب الخامس: حضور القلب عند الدعاء: 11
الأدب السادس: الوضوء عند الدعاء – إن أمكن –: 12
الأدب السابع: استخدام السواك عند إرادة الدعاء: 12
الأدب الثامن: رفع الأيدي في الدعاء: 13
الأدب التاسع: استقبال القبلة: 18
الأدب العاشر: يفتتح الدعاء بالثناء على الله تعالى، ثم يصلي على النبي ﷺ 20
ومن الأمثلة على تقديم الثناء على الله في الدعاء: 20
ترك الصلاة على النبي ﷺ قد يمنع إجابة الدعاء: 22
الأدب الحادي عشر: الدعاء بتضرع، وخشوع، وتذلل، ومسكنة، ورغبة ورهبة 23
الأدب الثاني عشر: أن يكون غرض الداعي جميلًا حسنًا: 24
الأدب الثالث عشر: البكاء–إن استطاع– حال الدعاء: 25
الأدب الرابع عشر: الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة: 25
الأدب الخامس عشر: أن يسأل الله تعالى باسمه الأعظم: 27
الأدب السادس عشر: ألا يعتدى في الدعاء: 28
الأدب السابع عشر: خفض الصوت، والإسرار بالدعاء: 30
الأدب الثامن عشر: 32
أن يجزم بالدعاء، ويعزم المسألة، ويوقن بالإجابة: 32

الأدب التاسع عشر: الإكثار من الدعاء في الرخاء: 33
الأدب العشرون: الإلحاح على الله في الدعاء: 35
والله يحب الملحين في الدعاء. 36
الأدب الحادي والعشرون: 36
الدعاء للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات: 36
الأدب الثاني والعشرون: 37
إذا دعا لغيره فليبدأ بالدعاء لنفسه أولًا: 37
الأدب الثالث والعشرون: إذا سأل الله فليُعظِّم المسألة: 38
الأدب الرابع والعشرون: 39
الدعاء بالأدعية المأثورة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة: 39
الأدب الخامس والعشرون: أن يتخير جوامع الدعاء: 39
الأدب السادس والعشرون: 40
أن يتخير لدعائه أوقات وأحوال الإجابة: 40
الأدب السابع والعشرون: الأخذ بأسباب الإجابة: 40
الأدب الثامن والعشرون: ألا يشغله الدعاء عن ترك واجب: 41
الأدب التاسع والعشرون: عدم استعجال إجابة الدعاء: 41
الأدب الثلاثون: أن يسأل الله تعالى من خيري الدنيا والآخرة: 44
الأدب الحادي والثلاثون: أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة: 44
الأدب الثاني والثلاثون: أن يحسن الظن بربه عند الدعاء: 45
الأدب الثالث والثلاثون: الإكثار من الدعاء: 46
الأدب الرابع والثلاثون: أن يُعظم الرغبة في الدعاء، فيدعو الله بمعالي الأمور 48
الأدب الخامس والثلاثون: الإكثار من النوافل، وهذا أرجى لإجابة الدعوة 49
الأدب السادس والثلاثون: أن يقول لمن أسدى إليه معروفًا: جزاك الله خيرًا: 49
الأدب السابع والثلاثون: التأمين على الدعاء من المستمع: 50
الخاتمة 50
الفهرس 51